٥٠٠٧
١٩٦١٠

REGD No. LW/NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI

صدر حديثاً :

النبيّ الخاتم والدّين الكامل

وما لهما من أهمية في تاريخ الأديان والملل

محاضرة :

ألقاها سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي
في مؤتمر ديوبند في موضوع « القاديانية . . . »
في ٢٤/ من صفر ١٤٠٧هـ - ٢٩/ من أكتوبر ١٩٨٦م

و تحدث فيها عن ختم النبوة و كمال الدين ،
و برهن عليهما بنصوص الكتاب و السنة ، و أثبت
بكل تأكيد وقوة وإقناع أن النبوة ختمت على يد خاتم
النبيين محمد بن عبد الله الأمين ﷺ ، و كل ادعاء
أو زعم بالنبوة بعده، ثورة على النبوة المحمدية ومحاربة
للدين الكامل الأخير .

ملتزم النشر والتوزيع

المجمع الاسلامي العلمي

ندوة العلماء، ص.ب ١١٩ لكناؤ، الهند

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوي من مؤسسة الصحافة و النشر ندوة العلماء -
رئيس التحرير : سعيد الأعظمي

شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد

العدد ٣ ، المجلد ٣٢ ، ذو القعدة ١٤٠٧هـ

البعث الإسلامي

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٢، لكهنؤ (الهند)

أنشأها : نقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسنى رحمه الله
في عام ١٣٤٥هـ / ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المجلد الثانى والثلاثون ★ ذو القعدة ١٤٠٧هـ — يوليو ١٩٨٧م ★ العدد الثالث

المراسلات :
البعث الاسلامى مؤسسة الصحافة و النشر ، ص . ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI c/o. Nadwat-ul-Ulama, P. O. Box 93. Lucknow (India)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الكريم ، حفظه الله تعالى

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، وبعد :

فان مجلتك « البعث الاسلامى » تجتاز الآن عامها الثانى و الثلاثين ، وهى ماضية فى جهادها المتواضع منذ أمد بعيد ، رغم ضآلة وسائلها وقلة إمكانياتها ، و قائمة بواجبها الاسلامى على جبهة معادية مليئة بالأحقاد و الكراهية و مشحونة بوسائل الهدم و التخريب و فى بلد علمانى ليس الاسلام دينه الرسمى ، و ليست اللغة العربية لغته القومية .

فهلا نرجو منك - أيها القارىء الكريم - أن تشعر ببعض واجبك نحو مجلتك هذه و تتكرم ببذل شئ من وقتك الغالى فى سبيلها ، و ذلك أن تكسب لمجلتك هذه عدداً من إخوانك المشتركين و تتفضل بارسال اشتراكاتهم حسب التفاصيل المذكورة أدناه ، أو تقوم بانشاء وكالة للمجلة فى بلدك أو مجتمعك الذى تعيش فيه و تفيدنا بذلك فى أول فرصة ممكنة - نرجو أن لا يفوتك الاهتمام بهذا الموضوع الاسلامى فى أى حال ، وجزاؤك على الله الذى لا تنفد خزائنه .

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : / ٥٠ روبية ، ثمن النسخة خمس روبيات .
★ فى العالم العربى : /١٥ دولاراً بالبريد السطحى ، /٣٠ دولاراً بالبريد الجوى .
★ فى أوربا و أمريكا و إفريقيا : /١٥ دولاراً بالبريد العادى ، / ٥٠ دولاراً بالبريد الجوى .
★ فى باكستان و بنغلاديش ودول شرق آسيا : ١٥ دولاراً بالبريد السطحى ، /٣٠ دولاراً بالبريد الجوى .

المراسلات : مكتب البعث الاسلامى ، مؤسسة الصحافة و النشر
ندوة العلماء ص . ب ٩٣ لكناؤ (الهند)
ALBAASELISLAMI - C/o NADWAT UL ULAMA
P. O. Box, 93. Lucknow (INDIA)

المجلة لا تتقيد بكل فكر لكل كاتب ، ينشر فيها

فى هذا العدد

★ الافتتاحيـــــــة

نهاية الأوضاع العالميـة المعاصرة
تكمن فى العودة إلى الحالة الطبيعية ! — سعيـد الأعظمى — ٣

★ التوجيـــــــه الاسلامى

دور لاسلام الثورى البناء فى مجال العلوم الانسانية — سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى — ١٠
دور البرامج الدينية فى مكافحة تيارات الالحاد والانحراف — بقلم الدكتور عبد الحليم عويس — ١٧

★ الدعوة الاسلاميـــــــة

هل الخجل مرض ؟ ؟ — بقلم الدكتور محمد سعد الشويعر — ٢٨

★ الفقـــــــه الاسلامى

محاولة لتحليل المعاملات الربوية ، إبطال شبه — سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز — ٣٦
الدكتور ابراهيم الناصر

★ عـــلم النفس الاجتماعى :

أهم جوانب التعليم المدرسى — فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى — ٤٩

★ دراســات و أبحـــــاث

حقيقة المفردات الاعجمية فى القرآن — فضيلة الدكتور عبد الله عباس الندوى — ٥٠
نظرات فى كتاب المحدث الفاصل بين الراوى والواعى — الأستاذ أبو محفوظ الكريم معصومى — ٦٦

★ اقتصادنا فى ضوء الاســلام

التأمين فى الاقتصاد الاسلامى — الأستاذ صدر الحسن الندوى — ٧٤

★ أبحـــاث مختلفـــــة

الحديث الضعيف ، حكم روايته ، وشروط العمل ، — الاستاذ أبو سحبان روح القدس الندوى — ٨٩
و أثره السيء فى الأمـــة

★ دراسة خاصة بالشعر المخضرم

عبد الله بن رواحة الأنصارى و شعره الاسلامى — سعيـد الأعظمى الندوى — ٨٩

حوار مع مهندس يبلغ الاسلام منذ ستين سنة — الدكتور / غريب جمعة — ٩٥

★ كتب حـــديثـــة — ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــــــة :

نهاية الأوضاع العالمية المعاصرة تكمن فى العودة إلى الحالة الطبيعية !

مع تقدم الحياة الانسانية و اتساع شئون الكون يتزايد عدد الخبراء والمثقفين فى كل جزء من الحياة و المجتمع ، ويتلقى الناس على اختلاف طبقاتهم و مذاهبهم أخباراً من العلوم و الثقافات و الابداعات الفنية و الانتاجات الصناعيـة ، تثلج صدورهم ، و تؤكد لهم أن الحياة الانسانية متجهة من حسن إلى أحسن أو بتعبير أصح : من سهل إلى أسهل ، وكادت التسهيلات المنوعة تغطى المجتمعات البشرية على جميع المستويات ، وتغنيها عن استخدام الوسائل اليدوية والأجهزه البطيئة فى إنجاز الأعمال و أداء المسئوليات ، فحيثما كان الانسان - مثلا - يعتمد على الورق والحبر وقوة الذاكرة و التفكير فى تصفيـة الحسابات الادارية وتقييم الميزانيات ، بدأ يعتمد على جهاز الحاسبة الآلى ، وينجز عمله من الحسابات الدقيقة و الطويلة بأسرع ما يمكن ، وربما فى ظرف ثوان ودقائق ، وهو بذلك نجح فى توفير الوقت والجهد و الوسائل ، و كذلك الشئون العقلية و الأعمال الفكرية التى كانت تكلف صاحبها بذل كمية كبيرة من قوة العقل و التفكير ، و تستغرق مساحة زمنية واسعة أضحت تتم بواسطة العقول الالكترونية فى أقل مدة زمنية و من غير تكلفة مادية كثيرة.

هذه الانتصارات العلمية و الكونية التى حققتها المدنية المعاصرة فى جميع مجالات الحياة و النشاط و التى استفاد منها الانسان اليوم كانت معقد آمال حلوة

لمستقبل الحياة الانسانية و تطلعاتها البناءة فى بناء الانسان ، و الوقوف من الحياة و الكون موقف الجد و العمل و التنوير ، وتفجير الطاقات فى الجهات الايجابية وفيما يضيئ الجوانب المظلمة ويسدد الخطى المعوجة ، فاذا كان الناس قد علقوا بها آمالا ذات آفاق واسعة ، وظنوا أنها تساعد العالم البشرى فى تصحيح مساره و انطلاقه نحو الأمن و الرفاهية و التقدم ، و الانتقال من الشقوة إلى سعادة الحياة ، إذا كان الناس قد فعلوا ذلك فلم يكونو مجانبين للصواب و لا مبالغين فى التفاؤل بها ، ولكن الواقع الذى واجهوه كان بالعكس مما رجوا ، و الثمار التى جنوها إنما كانت أكثر مرارة من الحنظل ، ذاك أن الحياة لقيت من عوامل الهدم و التخريب و التعاسة ما لا قبل لها به ، و وقفت على شفا حفرة من الهلاك و الدمار ، و فقدت الأمن و الصيانة ، وباتت مهددة بالمخاوف و المخاطر من كل نوع و فى كل وقت ، و أصبح الوضع أشبه بما كان أيام الجاهلية الأولى ، وقد لخصته البلاغة القرآنية فى ظاهرتين مهمتين :

١ــ العداوة ، ذلك الداء المخيف و العضال الذى يصيب الناس أفراداً و جماعات و شعوبا و حكومات ، ولا يحول دون ذلك أى تقــدم أو اتساع على وقى و حضارى ، بل الواقع أن الاتساعات الحضارية و الابداعات الفنية و العلمية قد تشعلان نار العداوة و توسعان فجوة الخلافات و التوتر العصبى إلى آخر مدى ، إذا لم يكن الأساس متينا وقائماً على هدف بناء وغاية عالية ، ومقصد واضح مبين ، ولنا فى معسكرات العالم الكبرى التى تتوزع الجنس البشرى وتحتكر السياسة و الاجتماع والعلوم و الآداب والحضارة والصناعة ، أسطع برهان على الاحتواء على جميع مدلولات « العداوة » التى يمكن أن يتصورها العقل ، فهى (المعسكرات) التى تحدب على العداوة و تتخذها

فلسفة بذاتها ، فتزرعها فى القلوب و الصفوف وتنميها مع الاتجاهات والميول ، وتقيم على ضوئها العلاقات الاجتماعيــة و السياسية ثم تعممها على جميع المستويات بين الأفراد و الجماعات .

و كنتيجة لهذه العداوة نشاهد فى المجتمع الانسانى من آثار واضحة لجوج للقلق و اليأس و التذمر حيناً و أعمال العنف و الممارسات الغير الطبعية حيناً آخر ، أما الأمن و السلام و السعادة و الاستقرار فأصبح كعنقاء المغرب وكلمات لا مدلول لها فى الواقع ، وما قصة الحربين الكونيتين بتفاصيلهما وآلامهما وما جرتا على العالم من شقاء لا مثيل له ، ما هى بخافية ولا غامضة على الناس ، و إن هناك حرباً كونية ثالثة أوسع من السابقتين و أشمل منهما تطل علينا كأنها بالمرصاد ، هذا على الرغم مما تعيشه الحياة الانسانية اليوم من مفاجئات أليمة و أوضاع غير طبيعية فى جميع المجالات والقطاعات ، من طبقات البشر العالية إلى طبقة العمال والكادحين ، وليس ذلك بدعاً فى المجتمعات التى قامت على الأسس المادية و إيثار المصالح الذاتية على مصالح البلاد والشعب ، والأرباح العاجلة على المنافع الآجلة ، إذ أن أفرادها يتميزون بالشره و النهامة والطمع فى حطام الدنيا و زخارفها الرخيصة و الغالية ، لا يرون أحدا أحق منهم بما لديهم أو ما يتطلعون إليه من منصب ومال ، وهنا يرتكز أصل البلية الذى يتفرع منه ألوان من العداء والشحناء ، والذى يوزعها على جميع شعب الحياة و يوجهها إلى المجموعات البشرية و يركز فى أذهان الناس أنهم مظلومون و أن غيرهم ظالمون و أنهم مغموطو الحقوق و أن غيرهم غاصبوها .

وهكذا تتعمق جذور الحقد و الكراهية فى قلوب الناس فيتعادون فيما بينهم و يعيشون حياة كلها عداوة و بغضاء وسوء ظن و توتر أعصاب و دوافع انتقام ، و إعدادات حثيثــة للمقاومة ، و إغراق فى تكديس المعدات الحربية و سباق فى

صناعة المدمرات و المتفجرات التى لا تبقى و لا تذر ، ذاك هو دأب العداوة أينما وجدت ، ومن أى مجتمع و بيئة تمكنت ، فانها هى التى أثارت الأحقاد بين القلوب و العصبيات بين القبائل و ملأت العواطف بالمقت و الكراهية ، وسلبت الرأفة و الرحمة للأولاد من قلوب الآباء ، و جعلتهم يقتلون الأولاد خشية إملاق ، و يئدون البنات تخلصاً من العار ، كما شهد بذلك القرآن الكريم « و لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم و إياهم » و « و إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » وهى التى أخرجت هيبة الجرائم من النفوس و هونت بشاعة الحرب بين الأشقاء و الاخوان من غير سبب كبير كما أشار إليه الشاعر الجاهلى فى قوله :

و أحيانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

و اقرأوا معى الآن قول الله عزوجل و تأملوا فى جمال التعبير و بلاغة الاشارة « و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

٢ــ أما الظاهرة الثانية للوضع الذى يعيشه الانسان المعاصر هى وقوفه على شفا حفرة من النار ، ذلك فى الواقع تعبير بليغ لحياة الخوف و الخطر و الحزن و اليأس التى تعتبر ميزة المجتمع الانسانى فى العالم المعاصر ، أرأيت كيف أن نذر الحروب الشاملة و سحب المعارك الدامية و أخطار التدميرات الهائلة ، تحلق فوق رأس الانسان و تهدده بالمصير المؤلم ، والفناء العاجل ، كأنه واقف على شفا حفرة من النار يكاد يقع فيها فتأكله النار بجميع ما يملكه هو من منصب ومتاع و تراث و حضارة ، و علوم و إبداعات .

هنا جحيم الحروب فى الخليج تبتلع الحضارة و التراث و تشمل حرائقها جميع مرافق الحياة من غير هوادة ولا لين ، وهناك حروب الطوائف والمليشيات تتفاقم على طول المدة ، و تصلى المخيمات الفلسطينية فى حرائقها الواسعة ، أضف إلى ذلك الهجمات الاسرائيلية المفاجئة بتتابع و إلحاح ، و ذاك هو الاتحاد السوفياتى الذى يسيل لعابه على خيرات بلاد المسلمين و ثرواتهم فيتناسى الآداب الدولية و الحقوق الانسانية و يضرب قرارات الأمم المتحدة عرض الحائط ، فيشن هجومه على شعب عزل ، و يغزو بلادا ليس له فيها من حق و لا نصيب و لا نقير ولا قطمير ، و يأتى على أهلها بصواريخه المدمرة و طائراته النفاثة ذات المفاعل السريعة ، فيسحقهم بقسوة منعدمة النظير ، وهناك حروب قبلية ، ومعارك طائفية ، و مشاغبات قومية ، و مشاحنات حزبية ، وانتقامات سياسية ، ومناورات ولاء و جفوة ، و مشاجرات عائلية ، و خلافات مذهبية ، و اتهامات متبادلة ، و مصارعات فكرية ، و مطالبات متطرفة ، و مناوءات سرية ، ومحاولات هدامة ، و ممارسات غير شرعية ، أليس كل ذلك مما يحرم الانسان هناء العيش ، و يفقده لذة البقاء ، و يملأ نفسه بشعور من الخوف و القلق و الشقاء ، و هو ينازع العوامل المضادة بكل ما يسعه من وسائل ، و لكن دون جدوى ، و حتى التجأ أخيرا بعد ما خانه التوفيق إلى البحث عن ملجأ يأوى إليه فينقذه من مصيره المحتوم .

و هو فى كل ذلك يتمثل بالوقوف على شفاحفرة من النار ، بين الخوف و الرجاء ، وبين الألم و الأمل ، وبينما هو كذلك إذ تبدو يد غيبية تتولى إنقاذه من حتمية النتائج ، و ذلك ما يعبر عنه الرب سبحانه بقوله البليغ « و كنتم على شفاحفرة من النار فأنقذكم منها » .

إذا تأملنا قليلا أدركنا أن الحياة الانسانية المعاصرة تعيش بين هاتين الظاهرتين ، ظاهرة العداوات و الحزازات وما تفرزه من عوامل الهدم و الفساد ، و فقدان الاتزان ، و انهيار الأعصاب ، و ظاهرة الوقوف على شفاحفرة من النار ، و ما يليها من الخوف و الحزن و عدم الاستقرار ، و الفرار عن مواجهة الواقع ، نفس الوضع الذى عاشه الانسان الجاهلى ، بعيداً عن كل سعادة و هناء و هدوء و عن لذة الحياة و طمأنينة القلب ، و كاد يتهالك فى الحروب و الأوضاع غير الطبعية ، و لكن رحمة الاسلام ، أنقذته من المهالك و المتاعب القاسية ، و من ذلك المصير المظلم الذى سد عليه كل منفذ من آمال الغد المضمون و المستقبل اللامع .

هذه الحالة الطارئة غير الطبيعية التى تغشى الحياة الانسانية اليوم شرقاً وغرباً وشمالا و جنوبا ليس مما يختفى على القائمين باستعراض الواقع المعاش ، و على الذين يحللون الأحداث والوقائع فى ضوء الحقائق ، و إننى أعتقد أن الناس كلهم يدركون ما هم فيه من شقاء يعم الحياة الفردية الجماعية و على كل المستويات ، و إن كانوا لا يتعمقون الأسباب التى جرت إليهم هذا الشقاء ، فضلا عن معرفة علاجه ، على أن الأمر واضح عندنا ليس فيه غموض ولا التواء ، و هو أن المجتمع الانسانى العام يعيش الآن منقطعاً عن مصدر السعادة و الأمن و الاستقرار ، مستغنياً عن مدد السماء و رفود الدار الآخرة ، وذلك بتركيز جميع المواهب والقوى على خدمة المصالح الفردية أو القومية ، دون نظر إلى الآخرين ، وما يملكونه من حق العيش ، و الاستمتاع من الأسباب المادية مثله .

هذه الرغبة الجامحة فى الاستئثار بمنافع الحياة و مرافقها مع الاعراض عن

(انظر البقية على ص ٩٤)

التوجيه الإسلامي

دور الاسلام الثورى البناء فى مجال العلوم الانسانية

(الحلقة الثانية)

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

السر فى اضطراب اليونان العقلى و العقدى :

و قد ذكر أحد العلماء المسيحيين الأدباء السر فى هذا الاضطراب العقلى ، و التناقض فى حياة اليونان ، يقول جرجى زيدان :

« أخذ اليونان بأهداب الفلسفة والعلم على أثر الحروب اليونانية الداخلية فانها توالت ٢٧ سنـــة ، و فى نهايتهـا دخلت أثينا فى حوزة المقدونيين ، و أصبح الأثينيون بعد العز أذلاء ، فساقتهم العبرة و المذلة إلى النظر فى الوجود ، فنهضوا نهضة فلسفية زعيمها و واضع أساسها سقراط ، و الحروب يغلب أن يعقبها نهضة أدبية أو علمية أو سياسية على ما قررناه فى غير هذا المكان . . و إن كانوا قـد تنبهوا إلى شيئ من ذلك قبلا .

فلما أصيبت أثينا بالذل بعد تلك العظمة ، أصاب أهلها اضطراب و انكسار ، و الانسان إذا أصيب بنكبة لا حيلة له فى دفعها اشتغل عنها بالتعليلات الفلسفية عن الوجود و أصله ، ليخفف وطأة تلك المصيبة عليه ، و خصوصاً فى مثل ما أصيبت به أثينا بعد عزها ورفعة شأنها ، وأصبح أهلها بعد سقوطها يتلفتون إلى الوراء آسفين ، وينظرون إلى الأمام خائفين ، وقد ذهبت أسباب مفاخرتهم القديمة ، و لم تنتظم حكومتهم الجديدة .

فتنبهت أذهانهم و انصرفت قرائحهم إلى النظر فى شئون الانسان على الجملة ، و شئونهم على الخصوص ، فكانت وجهت تلك النهضة الأدب والفلسفة ، ودخل

القرن الرابع قبل الميلاد ، و الناس يتناقلون آراء بعض المتقدمين من العلمـاء على ما يوافق أحوالهم ، و نفوسهم تشتاق إلى الزيادة (١) .

علم الأصنام (الميثالوجية الهندية) وكثرة الآلهة والالهات فى الهند :

أما الهند التى فاقت فى الفلسفة والعلوم الرياضية والطب ، وكانت تلو يونان كما قدمنا ، فقد امتازت فى ميثالوجيتها الوثنية (علم الأساطير) و أمعنت فيها ، حتى صارت فيها إماما و قدوة لما حولها من البلاد ، و امتازت بكثرة المعبودات و الآلهة و الالهات ، و قد أصبح كل شئ رائع ، وكل شئ هائل ، وكل شئ نافع إلها يعبد ، و ارتقت صناعة نحت التماثيل ، و تأنق فيها المتأنقون .

يقول الأستاذ الهندوكى الفاضل L. S. S.O. Malley فى كتابه « الهندوكية السائدة (دين الجماهير) » .

« إن عملية خلق الآلهة ، لم تنته على هذا ، فلم تزل تضم آلهة صغيرة فى فترات تاريخية مختلفة إلى هذا « المجمع الالهى » فى عدد كبير ، حتى أصبح منهم حشد يفوق الحد و الاحصاء ، كان كثير منهم آلهة سكان الهند القدامى ، ألحقوا بآلهة الديانة الهندوكية ، يذكر أن عدد هؤلاء الآلهة قد بلغ ٣٣٠ مليون » (٢) .

و يقول الأستاذ Vaidya C. V. فى كتابه « تاريخ الهند الوسطى » :

« كانت الديانة الهندوكية والديانة البوذية وثنيتين سواءاً بسواء ، بل ربما كانت الديانة البوذية قد فاقت الديانة الهندوكية فى الاغراق فى الوثنية ، كان ابتداء هذه الديانة — البوذية — بنفى الاله ، و لكنهـا بتدريج جعلت بوذا إلاله الأكبر ، ثم أضافت إليه آلهة أخرى على مر الزمن (٣) .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ، ج / ٢ ، لجرجى زيدان ، ص / ٣٣٠ .

(2) L.S.S.O., Malley, C.I E I., I C S., Popular H ndu Ism, The igion Of The Masses, (Cambridge, 1935) pp.6-7.

(3) C.V. Vaidya : History Of Mediaeval India, Vol.I Poona 1921.

التطرف الايرانى العقائدى :

أما الايرانيون فقد دانوا بالوثنية فى كل عصر ، و أصبح ذلك شعاراً لهم ، و آمنوا بإلهين اثنين ، أحدهما النور أو إله الخير ، و يسمونه « آهورمزدا » أو « يزدان » ، و الثانى الظلام أو إله الشر ، وهو « أهرمن » ، ولا يزال الصراع بينهما قائماً و الحرب دائمة (١) .

يذكر المؤرخون للديانة الايرانية بمجموعة أساطير متصلة بالآلهة Mythology لا تقل فى غرابتها و تفاصيلها الدقيقة عن الميثولوجيا الاغريقى أو الهندى (٢) .

و قد عرف المجوس من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية أعظمها النار ، و قد عكفوا على عبادتها أخيراً ، يبنون لها هياكل و معابد ، و انتشرت بيوت النار هذه فى طول البلاد وعرضها ، وكانت لها آداب و شرائع دقيقة ، وانقرضت كل عقيدة و ديانة غير عبادة النار و تقديس الشمس ، و أصبحت الديانة عندهم عبارة عن طقوس و تقاليد يؤدونها فى أمكنة خاصة ، أما خارج المعابد فكانوا أحراراً ، يسيرون على هواهم ، وما تملى عليهم نفوسهم ، و أصبح المجوس لا فرق بينهم و بين من لا دين لهم ولا خلاق فى الأعمال و الأخلاق (٣) .

و يقول الأستاذ آرتهر كرستن سين وهو يحكى عن ديانة إيران :

« إن ديانة الآريين القديمة (و منهم أهل إيران) كانت مؤسسة على عبادة العناصر و الأجسام الفلكية و القوى الطبعية ، و لكن سرعان ما أضيفت آلهة

(١) اقرأ كتاب « إيران فى عهد الساسانيين » للبروفيسور آرتهر كرستن سين (Christensen, A.) باب ، الدين الزرتشى ، ديانة الحكومة ، ص/١٨٣ - ٢٣٣ .

(٢) أيضاً ، ص / ٢٠٤ — ٢٠٩ .

(٣) أيضاً ، ص / ٣٠ .

جديدة إلى آلهة القوى الطبعية ، كانت تمثل القوى الخلقيـة ، أو كانت تماثيل للتصورات الذهنية » (١) .

ويذكر المؤرخون للديانة الايرانية بمجموعة أساطير متصلة بالآلهة (Mythology) لا تقل فى غرابتها و تفاصيلها عن الميثالوجية الاغريقية أو الهندية .

و قد أحسن العلامة الدكتور محمد إقبال فى وصف طبيعة الايرانيين القلقة المضطربة التى تجلت فى حياتهم ، من مجال العقيدة والديانة ، إلى الشعر والأدب . يقول :

« إن تخيل الايرانيين كان كفراشة دائمة الحركة و الطيران ، تنتقل - فى حالة شبيهة بسكر وطرب - من زهرة إلى زهرة أخرى ، وتعجز عن تصور الحديقة تصوراً جامعاً شاملا ، لذلك ظهرت أفكارهم الممعنة فى العمق و عواطفهم الجياشة ، فى أبيات لا يربطها نظام ، وتجلت فى النسيب والغزل الذى ينم عن الرقة والدقة (٢) .

التفسخ الخلقى و الانحلال الاجتماعى فى مراكز العلوم و الحكمـة :

و المأخذ الثانى فى حياة الشعوب و البلاد الثلاثة التى اتصفت بالعبقرية الفكرية و الابداع الفنى ، بالنسبة إلى الأمم المعاصرة و البلاد المجاورة ، و قادت العالم المفتوح علمياً و فكرياً ، أو المأخوذ بسحرها (وهى يونان و الهند و ايران) هو التدهور الخلقى ، والخضوع الزائد للغريزة الجنسية و الدوافع الجامحة ، فكانت على طرفى نقيض من السمو العقلى و التدلى الخلقى ، لا تمنعها من ذلك التأملات الفلسفية ولا اللذة بالفتوح العلمية ، ولا المثل و القيم الخلقية .

(١) « إيران فى عهد الساسانيين » ، ص / ٣٠ .

(2) The Development Of Metaphysics In Persia, pp.13-14:

فى يونان :

أما يونان فتكفى عنها شهادة مؤرخ أخلاق أوربا الشهيرليكى (Lecky, W.E.H.) يقول فى كتابه الشهير « تاريخ أخلاق أوربا »(Histry Of European Morals) :

« مما يقضى منه العجب (فيما يتصل بالحياة فى اليونان القديمة) أن الخضوع للغريزة الجنسية ، و الانسياق مع الأهواء و الشهوات ، كان فى أوجه ، و قد بلغ القمة تحت سمع حكماء الأخلاق و بصرهم ، بل الأصح أنه قد بلغ القمة فى ظل احتضانهم و إشرافهم ، فاذا روى لنا أحد أن كبار أساقفة باريس المتدينين كانوا جالسين فى غرفة المومسة الفرنسية الشهيرة « نيتادى انكلو » يشيرون عليها بما يساعدها على نجاح مهنتها و ازدهارها ، فلا يوجد من يصدق هذه الرواية و لكن الحقيقة التاريخية أن نفس هذه الصلة (الآثمة) كانت قائمة بين سقراط الكبير و المومسة اليونانية الشهيرة « تهيودونا » (١) .

و يقول فى موضع آخر :

« إن تشكيك الفلاسفة قد استأصل الديانات القديمة ، وقد اكتسح البلاد (اليونان) سيل من الترف الشرقى و التدهور الخلقى ، و قد انتشرت فى هذا الوضع وقائع البغاء و الفجور انتشاراً كبيراً ، وكثر عددها إلى حد هائل » (٢) .

و يروى التاريخ الموثوق به عن أرسطو و صلاته الأثيمة ببعض المومسات اليونانية ، و كذلك عن أفلاطون وصلاته بالمومسات و الغلمان ، ويحكى روايات عن كبار فلاسفة اليونان مثل سقراط و أفلاطون ، من الدعارة والشذوذ الجنسى،

(1) History of European Morals By Lecky, W.E.H. New York -1855, pp. 175-176;

(٢) أيضاً ، ج / ٢ ، ص ١٩٢ .

و حماية البغاء الرسمى و تبريره ما يندى له جبين الحياء ويحمر له وجه الأدب ، ويصعب على الباحث فى موضوع جدى مثل هذا الموضوع الذى له صلة بالديانة و الأخلاق و دور الاسلام الاصلاحى التربوى ، أن ينقل هذه الشهادات ، فيحيل القارىء على مصدرها الكبير (١) .

فى الهنـــد :

أما الهند فقد اتفقت كلمة المؤرخين على أن المجتمع الهندى كان قد بلغ درجة الانهيار الخلقى فى مستهل القرن السادس الميلادى (٢) فانتشرت الخلاعة حتى فى المعابد ، و أصبحت لا عيب فيها ، لأن الدين قد أضفى عليها لوناً من القدس و التعبد (٣) .

و يقول فاضل هندوكى « ويديا دهر مهاجن » :

« كان الجماهير فى الهند (فى القرن السادس المسيحى) يتهربون من أعمال شاقة وكدح ، و كانوا يصرفون أوقاتهم فى الاستهتار وخلع العذار ، وقد راجت فى تلك الفترة ديانة « واماركى » فى العامة ، التى كان مبدؤها : « كلوا و اشربوا و اقضوا حياتكم فى صفاء و سرور (Eat Drink And Be Marry) فكانوا يعيشون على شرب الخمور و التمتع بالغيد و الغوانى .

و قد تسربت هذه القبائح إلى المدارس ، وأصبحت المعابد و الزوايا مسرحا للكسل و الترف ، وكان أكثر كهنتها يعيشون حياة داعرة ، و كان فيها عدد كبير من البنات و الشابات اللاتى لم يتزوجن، انتشرت بسببهن الخلاعة وحياة الفجور ،

(1) Hans Licht, Sexual Life In Ancient Greece, London 1942.

(٢) راجع « الهند القديمة » ج / ٣ ، لمؤلفه . R.C. Dutt

(٣) ستيارتهـ بركاش ، لدياتند سرسوتى ، ص / ٣٤٤ .

كذلك وجود الراهبات فى المعابد اللاتى نذرن حياتهن لهذه المعابد وكهانها ، قد سبب فوضى خلقية هائلة ، وفى ذلك العهد ظهر أدب خليع يسمى بـ « Tantrik » كان له أثر عميق فى الأخلاق (١) .

فى إيران :

أما إيران فقد كانت مسرحاً بارزاً لتضعضع أسس الأخلاق و الفضيلة و ذوبانها ، و قد شاع التمتع بالحياة و انتهاب المسرات إلى حد بعيد ، و قد ظهر مزدك فى أوائل القرن الخامس المسيحى ، فدعا إلى إباحة الأموال و النساء ، وجعل الناس شركاء فيها ، وقد جاء فى وثيقة إيرانية تاريخية تعرف « نامه تنسر » تصوير لذلك العصر .

« و انتهكت الأعراض ، وعم خلع العذار ، لقد نشأ جيل لاكرامة فيه ولا عمل ، ولم يكن له رصيد ولا ماض مجيد » (٢) .

و انغمست إيران فى الفوضى الخلقية و طغيان الشهوات ، و كانت تتأرجح بين أبيقورية (٣) جامحة وتنسك مغال ، و لم تزل المحرمات النسبية التى تواضعت على حرمتها ومقتها طبائع أهل الأقاليم المعتدلة موضع خلاف ونقاض فيها .

« يتبع »

---

(١) راجع Muslim Rule in India, pp. 33–34

(٢) « نامه تنسر » ، طبع مينوى ، ص / ١٣ .

(٣) مذهب أبيقور ، الفيلسوف الاغريقى ، الذى قال بأن المتعة هى الخير الأسمى .

دور البرامج الدينية
فى مكافحة تيارات الالحاد و الانحراف

بقلم الدكتور عبد الحليم عويس
أستاذ العلوم الاجتماعية فى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
(الرياض)

التليفزيون و التحديات الحضارية المستقبلة :

التلفاز - أو الاذاعة المرئية - وسيلة إعلامية بصرية وسمعية شمولية قادرة على إدماج المتلقى أو (المستقبل) لارسالها دمجاً متحركا متجدداً مؤثراً فى شتى أجهزة الاستقبال و التلقى فيه .

ويضاف إلى هذا التأثير الشمولى القدرة الشديدة للتلفاز على تقديم المرئيات بأحجام و مقادير و ألوان (١) متحركة طبيعية وغير طبيعية ، محاكية للطبيعة أو مضخمة أو مصغرة لها ، فضلا عن القدرة التى يتميز بها التلفاز (عن السينما التى قد تشاركه هذه الخصائص) فى الوصول إلى كل بيت (و هو تفوق فى المكان) و الوصول عبر ساعات إرسال كثيرة و متنوعة (وهو تفوق فى المادة و الزمان) بحيث نستطيع القول إن التليفزيون هو أخطر جهاز إعلامى عام شهدته البشرية حتى اليوم .

ومن البديهى أنه نتيجة لهذه الخصائص - فان الاعلام التلفازى اليوم يحتل المكانة الأولى بين وسائل الاعلام بعد أن أخلت الاذاعة (و السينما) له مكانتهما

---

(١) انظر إبراهيم سرسيق : أصول الاعلام الحديث و تطبيقاته : مطبوعات نادى مكة الثقافى ص ٣٥ .

صاغرتين (١) . . . وقد أصبح التليفزيون - كما يقول أحد المشرفين على التلفزيون البريطانى - المعلم العظيم للشعب ، فان ما يقوم به الآن أكثر عمقاً و أبعد أثراً مما كانت تقوم به الصحافة فى بداية هذا القرن فى المناطق الريفية من الجزر البريطانية (وكل الريف فى العالم الاسلامى و العربى و الخليجى) و هى المناطق التى لم تكن قد وصلت إليها العلوم العميقة أو التى لم تكن تهتم بالتعمق فى الميدان العلمى ، كما هو الحال فى لندن و المدن الكبيرة ، نجد أن التليفزيون قد أوجد هذا الوعى الثقافى التربوى بنسبة كبيرة فلقد اتسعت ثقافة الملايين فى انجلترا فيما يتعلق بالأمراض و الصحة العامة و الصحة العقلية و الأزياء و الشئون المنزلية و السياسية و الاقتصادية) (٢) .

لقد تقدم هذا الجهاز الخطير على كل وسائل الاعلام ، ولم تعد الصحافة بازائه (صاحبة الجلالة) كما كان يقال عنها . . . فلقد تجاوز انتشاره و تأثيره كل مدى كانت الصحافة تطمع إلى الوصول إليه . . . كما أنه عن طريق الصورة قد سبق قوة تأثير الاذاعة بمراحل كثيرة .

و عن طريق الأقمار الصناعية استطاع التلفاز أن يكون عالمياً ، و تحمل لنا تنبؤات المستقبل آفاقاً خطيرة لمستوى انتشار القنوات التلفازية عبر الحدود . . . و فى القريب جداً سوف يتيسر البث المباشر من المحطات الأرضية دون الاستعانة بالأقمار الصناعية بحيث تعبر الذبذبان (الكهرو مغناطيسية) المحيطات و القفار متسللة إلى بيوتنا من حيث لا نحتسب (٣) . و لربما تحقق البث من مكان

(١) انظر مروان كجك : الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون ، نشر القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧ ص ٤٢ .

(٢) فتحى الأبيارى : الرأى العام و المخطط الصهيونى : دار المعرفة الجامعية ، بمصر ص ٤٠ .

(٣) مروان كجك : الأسرة المسلمة ص ٦١ .

ما من العالم لا تحدد هويته فكأنه شكل جديد من أشكال الاذاعات السرية ، لا سيما و أن تطوراً مذهلا يجرى الآن على أجهزة التلفزيون نفسها لتتمكن من استيعاب مائتى قناة تلفزيونية (١) بل إن التطور المذهل فى عالم الاتصالات بلغ حد استكمال أكبر شبكة للاتصالات لنقل البرامج التلفزيونية بين دول العالم أقامتها مؤسسة (بريتسن تليكوم الدولية) تربط (٩٣) مركزاً فى (٥٢) دولة بواسطة (٧) أقمار صناعية ، وسيمكن عن طريق هذه الشبكة - تبادل البرامج والأحداث الهامة على الهواء مباشرة بين أى مكان فى العالم و هوائيات الاستقبال العامة و الخاصة على السواء (٢) .

و فى ضوء هذا الخطر العالمى التلفازى الزاحف لا بد أن تتحرك كل أمة للدفاع عن قيمتها و ذاتيتها و أفكارها و عقائدها إذا ما أرادت أن تبقى أمة متميزة فى هذا العالم الذى أصبح أقرب ما يكون لقرية صغيرة تتناطح فيها الأفكار و التصورات و الأخلاقيات .

و مما يزيد الأمر خطورة بالنسبة لبلاد الخليج العربى و البلدان العربية والاسلامية وجود أكثريتها قرب أماكن ذات ثقافات وحضارات مضادة محاربة . . . فبلدان الخليج قريبة من الهند الوثنية ، و من إسرائيل اليهودية ، و من الحبشة الصليبية ، و من بعض الدول الباطنية و الشيوعية الأخرى . . . ولنا أن نتوقع أن يستفيد أعداء الاسلام - بقوة - من هذه المواقع ، و أن يبثوا من هذه البلاد موجات موجهة أو على الأقل أن يقووا محطات الارسال عن طريق شبكات تقوية فى هذه البلاد .

(١) مروان كجك : الرجع السابق ٦٢ .

(٢) صلاح جلال ، جريدة الأهرام ١٩٨٥/١٢/٢٢ (نقلا عن المرجع السابق) .

أما إسرائيل فسوف تكون قاعدة الانطلاق الواضحة ضد الفكر الاسلامى و الانسان المسلم ، ولا سيما إنسان الخليج ، و ليس عندها أى مانع من تبنى أية أفكار تخريبية أو استنزافية أو تحللية أو وثنية أو إلحادية . . . لأنها لا يهمها - بل لعلها لا تريد أن يكون المسلمون أو العرب يهوداً . . بل المهم عندها - أن يكون العرب بلا (دين) يحاربونها به ، وبلا (أخلاق) يصمدون بها أمام وسائل تحطيمها للقيم و الايجابيات الاسلامية ، وبلا (وقت) و لا (طاقة) يوجهونهما للعلم و البناء و العمل و المواجهة الحضارية ! !

التليفزيون فى الخليج .
(بين الذاتية و التبعية و الايجابية و السلبية) :

لم يكن الخليج - شأنه شأن العالم الاسلامى و العربى و العالم الثالث كله - سباقا إلى ابتكار التلفزيون أو مخترعا له - حتى اليوم - بل نشأ هذا الجهاز مثل معظم التقنيات الاعلامية الحديثة فى الغرب الأوربى و الأمريكى .

و معروف أن التلفاز لم يظهر كاختراع جديد مرة واحدة ، بل مر بمراحل عدة عن طريق علماء من دول أوربية مختلفة ، و فى عام ١٩٢٠م - و هذا هو ما يهمنا فى هذا المقام - قامت شركة أمريكية بأول تجربة علنية للارسال والاستقبال التلفزيونى فى مدينة نيويورك ، و بعد عمليـــة تحسين للارسال بواسطة العالم (أورتيكون) انتظم الارسال ، فبدأت شركة - (إن - ب - س) ترسل بثها بوضوح ، و من ثم أعلن العالم (دافيد سارتون) عام ١٩٣٨م أن التلفـاز قد أصبح حقيقة واقعة ، و فى عام ١٩٤١م صرحت الحكومة الفدرالية الأمريكية بالبث التلفازى التجارى (١) فنشأت ست محطات تلفزيونية بقى عددها كما هو حتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

(١) أخبـار التليفزيون : تأليف جرين مورى ترجمة حمدى قنديل طبع مصر (نقلا عن منصور السحلى : الوسطية فى الاعلام ط ١ ص ٣٤ نشر السعودية).

و فى الخليج عرفت المملكة العربية السعودية الارسال التلفزيونى فى عام ١٩٤٧م ، عندما أقامت شركة (أرامكو) محطة إرسال تلفزيونى فى الظهران ، وفى العراق بدأ البث التلفزيونى عام ١٩٥٦م ، و فى الكويت بدأ الارسال التلفزيونى فى عام ١٩٦١م ، و فى الامارات العربية بدأ الارسال فى أبو ظبى عام ١٩٦٩ ، و فى قطر بدأ الارسال فى عام ١٩٧٠م (١) .

وهكذا فان المسافة الزمنية بين ظهور التلفزيون لدى مخترعيه ، وبين استخدامه فى الخليج - ومثله العالم العربى تقريباً - ليست مسافة بعيدة ، إذ هى لا تكاد تزيد عن عقدين من الزمان .

و كان من أسباب هذا طبيعة العصر الذى سرعان ما تتلاقى فيه الأفكار وتنتقل الاختراعات بتأثير اقتراب المسافات ، كما أن الظروف الاقتصادية الطارئة على الخليج قد مكنته من سرعة إدخال هذا الجهاز ، كما أدخل الأجهزة الحديثة الأخرى .

و كما انتشر التلفزيون - قنوات و أجهزة - انتشاراً كبيراً على امتداد العالم كله بحيث بلغ عدد مراكز البث التلفزيونى ٣١٢٦ مركزا فى الدول المتقدمة ، وبلغ عدد أجهزة التلفزيون فيها ٤٠٧ ملايين جهاز (٢) - كذلك انتشرت القنوات التلفزيونية و الأجهزة انتشاراً كبيراً فى العالم العربى ، و لا سيما دول الخليج ذات الوفرة الاقتصادية التى تمكن كل مواطن فيها من اقتناء هـــذا الجهاز دون عناء ، ويكاد المرء يرجح أن نسبة لا تقل عن (٩٥٪) - على الأقل - من أسر هذه الدول تملك جهاز تلفزيون أو عدداً من الأجهزة فى البيت الواحد ! !

(١) منصور السحلى : الوسطية فى الاعلام ص ٩٤ .
(٢) وقائع ندوة « ما ذا يريد التربويون من الاعلاميين » ط ٢ / ج ١ - ص ٨٤ نشر مكتب التربية العربى لدول الخليج .

و كما أن كثيراً من (التقنيات) التى نقلها العالم العربى و الاسلامى لم يكن قد عانى جهداً فى عملية إبداعها ، و لم تكن خلفيته الحضارية الظرفية قد تناغمت معها ، كذلك فان هذا العالم قد استقبل هذا الوافد المستورد الجديد بالمستوى نفسه الذى استقبل به كثيراً من التقنيات التى نقلها من قبل ! !

و فى هذه الظرفية الحضارية التى استقبل فيها عالمنا العربى - و الخليج جزء منه - هذا الجهاز الخطير لم يكن لدى قيادات الفكر فى هذا العالم - بصفة إجمالية - من العمق الحضارى ، و الادراك الواعى لأبعاد الالتحام الحضارى وشروط النجاح أو التكافؤ فيه ، مما يسمح لهم باستخلاص المنهجية السليمة التى تمكن من تسخير هذا الجهاز لخدمة التطور للامة ، فى إطار الحفاظ على القوانين الصحيحة للتطور ، و أركان الأصاله الذاتية ، ومع الافادة الواعية عن الأطروحات و المفاهيم و الابتكارات و الاختراعات و الوسائل الفنية التى يطرحها العصر الحديث .

- و قد وجد هذا العالم العربى - بفعل هذه الحالة - أنه لا طريق له لملء ساعات الارسال فى هذا الجهاز إلا من رافدين :

١- رافد السوابق السينمائية التى كانت قد ظهرت فى بعض البلدان العربية مثل مصر و لبنان .

٢- و رافد الاستيراد من الحضارة الغربية استيراداً لا يفرق كثيراً بين الغث و السمين و النافع و الضار وما هو أوربى ذاتى يتعلق بعقائد الأوربيين ومنهج حياتهم و أفكارهم ، وما هو إنسانى عام يمكن التفاعل الايجابى معه ، بل - فى الأعم الأغلب - غلب الضار على النافع من هذا المستورد الغريب ! !

و من الجدير بالذكر أن الدول الخليجية لمكانتها الاسلامية ورسالتها الحضارية ،

و توافر عنصر القدوة فيها لبقية المسلمين - كانت تستطيع التعامل مع هذا الجهاز الجديد بشئ من المرونة و الحذر ، إن لم تستطيع التعامل معه بذاتية واضحة على غرار ما فعلت اليابان التى تبث برامج فى مجال التعليم المنظم فقط بمعدل ٦٠ ساعة أسبوعياً ، فضلا عن التعليم بالمراسلة ، وبالاضافة إلى مدرسة ثانوية للتعليم بالمراسلة يملكها التلفاز اليابانى تغطى برامجها بأكثر من عشرين ساعة أسبوعياً ، وفضلا عن مدرسة التلفزيون للصم ، و برامج للشباب و الكبار فى الزراعة والصيد و الغابات والثقافة اليابانية والعلوم و للنساء فى الاقتصاد المنزلى ، و الشئون المحلية و موضوعات الأدب و الفن و التاريخ و العلوم الطبيعية (١) .

أقول . . . كان من الممكن لدول الخليج والبلاد العربية والاسلامية الأخرى أن تتعامل مع هذا الجهاز بالحذر والمرونة والتدرج ما دام قد صعب عليها مواكبة اليابان فى منهجها ، و بالتالى كان فى استطاعتها أن تحدد ساعات الارسال بثلاث ساعات يومياً وبست ساعات - مثلا - فى أيام الاجازات الرسمية ! !

و قد انتهى الباحث الأمريكى (جوميلينز) من خلال دراسة ميدانية أجراها بالتعاون مع مجموعة من علماء الاجتماع - حول حرمان أسر أمريكية من مشاهدة التلفزيون أسبوعاً فى كل شهر إلى نتائج غاية فى الايجابية فى الصحة و الوقت و التوازن النفسى ومستوى العمل و التحصيل الدراسى . . . و انتهى الباحث إلى ضرورة هجر التلفزيون أسبوعاً كل شهر و إلى تقليل ساعات الارسال و المشاهدة بقية الأسابيع الثلاثة فى الشهر (٢) .

و قد ناشد (هيلموت شميدث) مستشار ألمانيا الغربية الآباء و الأمهات أن

(١) وقائع ندوة : ما ذا يريد التربويون من الاعلاميين ، المرجع السابق ١/٨٨، ٨٩ .
(٢) مروان كجك : الأسرة المسلمة ص ٢٥٢ .

يغلقوا أجهزة التلفزيون على الأقل يوماً واحداً كل أسبوع (١) و فى بلد كرومانيا يتوقف البث التلفازى فيها عند الساعة العاشرة مساءاً ، و حجة القائمين على الأمر أنهم بلد عمالى صناعى لا يجوز للعامل فيه بتوجيه من الدولة و رضا منها و تشجيع أن يستمر فى سهره حتى منتصف الليل ليعجز فى اليوم التالى عن أداء واجبه أو القيام بالمهمة الموكولة إليه فى الحقل أو المصنع (٢) .

ونحن فى عالمنا العربى و على رأسه الخليج أحوج ما نكون إلى هذه الراحة للعمل (فى المصالح و المدارس و المزارع و المصانع) الذى نحن أحوج الشعوب إليه ، فضلا عن أن لدينا حاجة أخرى أساسية هى برنامج حياتنا الاسلامى الذى فرضه الله علينا ، و هو البرنامج الذى يوجب علينـــا بدء يومنا الاسلامى مبكرين بالصلاة قبل الشروق ، و بقراءة قرآن الفجر (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) و بالتوجه إلى أعمالنا بكامل طاقاتنا مبكرين لأن البركة فى البكور ! ! .

و إلى جانب هاتين الحاجتين الأساسيتين ... هناك حاجتان ملحتان تاليتان ، و هى حاجتنا إلى فترة نكون فيها الأطر الفنية المطلوبة ، حتى نستطيع التحكم فى هـــذا الجهاز و قيادته ، لا أن يقودنا هو بما فيه من محلى و عربى غث ، أو مستورد مسموم . . .

و بيقين لو أننا أنفقنا المبالغ التى ننفقها على ساعات الارسال الفائضة عن الحاجة هذه ، والتى تصل إلى خمس ساعات يومياً - فى المتوسط - و إلى ضعف هذا العدد فى أيام الاجازات ... لو أننا أنفقنا هذه المبالغ - وفق خطة مدروسة -

(١) المكان السابق .

(٢) يوسف العظم : رحلة الضياع للاعلام العربى المعاصر : الدار السعودية للنشر ط ٢ ص ٥٤ .

فى تكوين أطر فنية و استحداث برامج أصيلة ذات أهداف و مضامين إسلامية - لنجحنا فى ذلك تماما و لاستطعنا أن نرعى فنانين و مفكرين و أدباء و مخرجين و ممثلين و مسرحيين و معدى برامج ، بل أن نوجه الكثير من الموجودين منهم الآن هذه الوجهة الايجابية ، وبعضهم يعيش ذلك فى أعماقه ويتمناه (وقد قابلت بعضهم ولمست منهم هذه الرغبة ، وشكوا لى أنهم - فى الوسط الفنى - لا يجدون أى تشجيع على هذا الاتجاه ، و أنهم مضطرون للتعايش مع هذا الوسط لدواعى العيش) والحاجة الأخرى الملحة بالنسبة لنا هى أننا فى العالم العربى - بصفة عامة - لا زالت هناك مرافق أخرى أساسية فى حاجة ماسة إلى المال - فضلا عن الوقت و الجهد - و كلها مما يحتاج إليه بناء الانسان المسلم الحديث . . . فما زالت الحاجة ماسة فى بلاد عربية كثيرة ، و فى بعض البلاد الخليجية إلى المزيد من الأموال لاستصلاح الأراضى ، و لبناء المصانع ، و لشراء مكتبات عامة مناسبة ، و لدعم الكتاب الذى يكاد يفقد مكانته فى بناء الانسان ، و لتوفير الوسائل التعليمية الحديثة ، ولانشاء المدارس و تزويدها بالأساتذة الأكفاء ، ورعاية مراكز البحوث و الجامعات و معامل الاختراع و الابتكار . . .

و يشير الدكتور يعقوب يوسف الخنيم - الوزير السابق للتربية بالكويت - إلى هذه الحقائق المتصلة - بضرورة إيجاد معادلة إعلامية عادلة . . . تأخذ بقدر ما تعطى . . . تقاس بقدر ما تبنى و تفيد المجتمع . . . ولا يسمح لها بالطغيان لا مالا و لا وقتاً و لا جهداً على المؤسسات التربوية و الاجتماعية الأخرى ...

يقول : إن هذه القوة الخطيرة التى يملكها الاعلام هى دائما سلاح ذو حدين ، ومن هنا تأتى أهمية اختيار المشكلة التى تعرض ، و الطريقة التى تعرض بها ، فحين يتجاهل الاعلاميون مشاكلنا الحقيقية و يملئون ساعات الارسال

أو صفحات الصحف بما يستهين بعقلية السامع أو القارىء ، فان الأمر يتجاوز مجرد تبديد الوقت أو المال أو الجهد ، بل إن ما يقدم بهذه الكيفية إنما يترك آثاراً مدمرة فى العقول و النفوس التى لا تملك القدرة على النقد أو المقاومة نتيجة للقوة الكامنة فى أجهزة الاعلام بما لها من تأثير و انتشار ، أما الوجه الآخر للمسألة فيتمثل فى النتائج الرائعة التى يمكن أن نحصل عليها حين تتجه أجهزه الاعلام بما تملك من قوة التأثير إلى تغيير الفكر من الغوغائية إلى العلمية ، ومن الميل إلى إطلاق للاحكام و الشعارات ، إلى جعل البحث و الدراسة و ترشيد الرأى بمعلومات تستند إلى أدلة ، وسيلة الفكر العربى لصنع القرار أو الاختيار بين البدائل (١) . . . و يضيف الدكتور الغنيم : قد تملك أمم كثيرة (قطعت أشواطاً من التقدم و ملكت عبر الأزمنة وسائل القوة و إمكانات العلم) تعرف تبديد الوقت و الطاقات ، ومع ذلك نجدها لا تفعل ، بل نشعر جميعاً أن الوقت و الفكر و الرأى هى الثروة الحقيقية لهذه الأمم ، فهل من سبيل إلى أن تتشابك أيدينا معاً فى عمل مشترك نثرى به فكر المواطن العربى و نصون وقته و ماله ، و نمنحه كل الفرص ليسهم بالمدروس من رأيه ؟ (٢) .

إن التلفزيون فى الخليج، يجب أن يكون منبثقا عن ذاتيتنا الاسلامية دون انغلاق ، و أن يكون معبراً عن مشكلاتنا ، آخذا بأيدينا إلى الارتقاء ، و أن يكون موجوداً لدى كل قطاعات المجتمع العلمية و الزراعية و الصناعية و غيرها . . . ينقل أخبارها و مشكلاتها و يطرحها على أهل الاختصاص للحل ، ويجب أن يكون [بعيداً عن كل نظريات الترف أو الهوس الفكرى] ركنا بناءاً فى

(١) ماذا يريد التربويون ج ١ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٤١ .

المجتمع . . . فالمسلمون جميعا ، و القائمون على التلفزيون سيحاسبون أمام الله على كل وقت ضاع فيه ، و عن كل ريال أنفق عليه ، فليس فى الاسلام طاقة يسمح بتبديدها دون حساب .

و ليس من المعقول أن تسفر نتائج الدراسة الميدانية الجادة التى قام بها الدكتور محى الدين عبد الحليم (١) حول (الدراما التلفزيونية والشباب الجامعى) و التى اختار لها (٦٠٠ حالة جامعية فى مصر) . . . أن تسفر الدراسة عن رأى عام يرى أن أضرار التلفزيون و سلبياته تصل إلى (١٧ و ٧٠ ٪) و أن إيجابياته و منافعه لا تتجاوز (٨٣ و ٢٩ ٪) . . . و أنه لا يثرى القيم و لا المعلوت الدينية إلا بنسبة (٩١ و ١ ٪) و لا يدفع إلى الاستقامة و الصلاح إلا بنسبة (٧١ و ٢ ٪) . . .

ليس من المعقول أن تكون النتائج على هذا النحو (و قد تختلف النتائج بالتأكيد بعض الشىء فى تلفزيونات الخليج ! !) و مع ذلك لا نلم على ضرورة وجود وقفة صادقة نحاسب بها أنفسنا على ما ننفقه على هذا الجهاز من مال و وقت كثيرين من جانب . . . ، و على المردود الضائع و الطاقات المهدرة من جانب آخر !! .

« يتبع »

(١) نقلا عن: مروان كجك : الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون ص ١٧٩ .

هل الخجل مرض ؟ ؟

بقلم الدكتور محمد سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الاسلامية (الرياض)

تنتشر فى العالم الاسلامى سلسلة من الكتب النفسية ، التى تجسم بعض الأمور النفسية ، والانفعالات الوجدانية ، وقد قامت على دراسات و خلفيات فى المجتمعات التى ألفت فيها ، و أغلبها فى المجتمعات الغربية ، ذلك أنهم يريدون حل ما يعترضهم أو يتفاعل فى نفوسهم ، من منطلق مفهومهم و خلفيات معتقداتهم .

والمسلمون لهم مشرب غير مشربهم ، ومورد يصدرون عنه فتهدأ به نفوسهم ، وتستقر به معتقداتهم ، ومع احتكاك المسلمين بالأمم الأخرى علمياً بواسطة البعثات الدراسية ، و حضارياً عن طريق الاقتصاد و الصناعات العديدة ، و ثقافياً بالمعارف المترجمة ، و بوسائل الاعلام المتداخلة ، و العديدة ، نرى كتباً كثيرة قد ترجمت للغات المسلمين فى مختلف ديارهم ، كجزء من الثقافة الوافدة ، أو أدخل فى مناهج أبنائهم الدراسية فيما يسميه بعضهم بالمعارف الجديدة ، التى أحوجت لها الحياة ، ولم تكن معروفة من قبل لدى المسلمين .

و عند هذه النقطة الأخيرة نقف قليلا لنتساءل هل هذه الكتب و ما تحمله من علوم - و أعنى علم النفس و علم الاجتماع ، و العلوم التربوية ، و العلوم الادارية ، لم تكن معروفة من قبل لدى المسلمين ، أم أنها معروفة فى تعاليم دينهم بمصدريه ، كتاب الله و سنة رسوله الكريم ﷺ ، ولكنها لم تنفرد بذاتها كعلوم مستقلة عن غيرها ؟ ؟ ! .

إن الواقع ينبئ أن أساسيات هذه العلوم موجودة فى جذور عقيدتنا الاسلامية كما رسختها تعاليم الاسلام ، فسار عليها حملة القيادة الفكرية فى التاريخ الاسلامى عبر مسيرتنا مع الأمم الأخرى ، و استمدوا ذلك من المعلم الأول ، و الموجه الأسمى ﷺ من قوله و فعله و تقريره .

ولأن هذه العلوم قد أصبحت مدروسة ومبلورة عند الأمم الأخرى ، رغم أن وجهات النظر تختلف لدى المهتمين بها من واحد لآخر ، لأن قاعدة انطلاقهم فيها غير ثابتة ، فهى آراء تنبعث عن تجارب شخصية ، و لذا فان هذه الدراسة المقدمة منهم قد جاءت بمنظور غير المنظور الاسلامى .

و من هنا فان من يقرأ بعضاً من هذه الكتب ، و يتابع سير مؤلفيها ، فانه سيجد النزعات الفكرية فى العقيدة ، و الانعكاسات البيئية فى كل ما يطرح إلى جانب تأثير المحصلات والأفكار أمثال : العلمانية والوجودية والخيالية والماسونية أو الالحاد ، وغيرها تتراءى تلك النزعات بالفكرة أو العبارة أو الاصطلاح .

و هذا ما يدعو إلى الوقوف أمام هذه العلوم بدقة وحذر ، حتى لا ينعكس ما فى أغلبها من خلفيات على المجتمع الاسلامى ، فيقاد شبابه إلى مسارب لا تتفق مع الطريق الذى عبد لأبنائه ، أو ينمى فيهم ما يختلف عما يريده الاسلام فى بناء الشخصية ، و تكوين المجتمع الصالح النافع .

ولقد كان من المناسب المشاركة فى هذا الموضوع بعد ما رأيت بعضاً من أولادى ينقب فى زوايا المكتبة حباً فى الاستطلاع ، و رغبة فى القراءة ، و من جانب آخر فلعله قد استهواه كما استهوانى من قبل ، ما خلف هذا العنوان أوذاك من فوائد .

هذا الكتاب الذى وجدته يقرأ فيه كان كتاباً صغيراً فى حجمه و هو من

سلسلة الكتب النفسية و اسمه : الخجل ، تأليف س . هـ . تير ، و قد ترجم للغة العربية ، منذ ثلاثين عاماً و رقمه فى هذه السلسلة السادس .

أما الكتب الخمسة التى سبقته للترجمة إلى اللغة العربية فهى : قوة الارادة ، تأليف، د. ج. كندى، عقدة النقص ، تأليف ، و، ج ، مكبريد ، الشخصية ، تأليف ،ج، م، جراهام ، الخوف، تأليف و.ج. مكبريد ، الايحاء الذاتى ، تأليف بتر فلتشر ، وتلا ذلك كما أشير فى الغلاف الكتاب السابع الأعصاب المرهقة ، تأليف ولفرد نور ثفيلد .

و يستطيع الدارس لهذه العناوين أن يجمعها فى مؤلف واحد ، و أمثال هذه السلسلة كثير جداً ، إلا أن الملاحظة العامة لهذه الكتب أن مؤلفيها كلهم ليسوا من المسلمين ، بل إن أغلبهم فى المجتمع الغربى ينتمون إلى أصل يهودى ، أو من تلاميذهم ، و هذا ما يدعو للتساؤل عن سر هذا الاهتمام ؟ و من المعروف حقد اليهود على البشرية جمعاء وعلى الديانات كلها بما فيها الاسلام و النصرانية ، ولكنهم أشد عداء للاسلام كما يتضح من واقع حالهم فى المدينة ، ومن الحوار القرآنى معهم .

ولذا يجب تحصين النفوس ، و وضع بدائل إسلامية لتأسيس قاعدة تلك العلوم بفروعها و مجريات أمورها ، بعد أن أصبحت الحاجة ماسة إليها ، لا نتزاع ما وضع ببديل مفيد و نافع .

ذلك أن أمثال هذه الكتب مما يهتم به الشباب ، لأنهم يتصورون فيها تغييراً لشخصياتهم و تقوية لجوانب يستضعفونها .

لكن هل يؤدى الكلام المبسوط فى أمثال هذا الكتاب الذى نحن بصدده، وما وضعه المؤلف فى نهاية عناوينه الثمانية من نقاط للذاكرة ، كتوجيهات موضوعة لنكون حلا لما يرجوه الشباب ، أو يغير شخصياتهم ؟ ؟ ! .

إنى بتصفحى لهذا الكتاب واستذكار ما فيه مع صغر حجمه، وقلة صفحاته

التى لم تزد عن ٤٩ صفحة من القطع الصغير لم أجد إلا وجهات نظر حول الخجل و المؤثرات فيه ، و قد اعتبره المؤلف مرضاً من الأمراض التى تظهر أعراضها ، و تحتاج النفس إلى علاجها ، و وضع منهجاً لذلك العلاج ، بحيث يفتح كلامه المعتمد على الأسلوب الأدبى آفاقاً كثيرة تجعل من لا يعرف الخجل يصبح خجولا ، و من لا يشعر ببعض الأعراض المعينة عليه ، متجسمة فيه .

وهذه غالبية التحليلات النفسية التى تعتمد على البسط الكلامى ، و التحليل المنطق أو ما يسمونه فلسفة علم النفس ، بصورة تبرز أكثر من رسم منهج محدد و مقارنة تلك الحالات برابطة دينية عقدية .

فكتاب الخجل ، وهو نموذج لكتب علم النفس لم أره رجع للمعتقد الدينى ، و لم يربط أو يذكر القارى بربه أو بمراقبته فى تصرفاته ، و محاسبة النفس ، لأن هذه الكتب لم تكن لتربط المخلوق بالخالق ، كما أنها فى إقناعها بالرأى المطروح بعيدة عن إيراد الدليل النقلى ، و ما يستمد من الشريعة التى يدين بها الانسان ، حتى يكون الرأى مقنعاً ، و هذا ناقص إلا فى شريعة الاسلام ، و أصحاب هذا الاختصاص لا يؤمنون بها ، بل ولا يريدون أن يربطوا الناس بها ، إن لم يكن هدفهم إبعادهم عنها .

ولو أردنا أن نسير مع صاحب هذا الكتاب لطال بنا النقاش ، لأن جميع عباراته تستحق الوقوف إلا أننا نأخذ منها أمثال قوله :

إن ذوى الخجل أناس تسلط عليهم الخوف ص ١ ، فهو لم يفرق بين الخجل و الخوف .

ينشأ الخجل عادة من إحدى تجارب الطفوله القاسيـــة ص ١ وهنا يرى أنه مكتسب .

فعلى من يبتلى بالخجل أن يواجه الحقائق و أن يعترف بتعاسته ، ص٢٨ .

من علاج الخجل العمل على الاعتماد النفسى ، ص ٢٨ .

إن أغلب الأفراد يخجلون فى مفاتحة الجنس الآخر فى أمر الصداقة ، ومع ذلك فعلى الرجال و النساء إن واتتهم الظروف لتبادل الصداقة أن يكونوا من الشجاعة بحيث يستغلون تلك الظروف ، ص ٣٣ .

فان هذه الكلمات التى هى نموذج لمنهج صاحب الكتاب ، و طريقته فى الأسلوب ذات دلالة على المعين الذى يستقى منه أصحاب هذا العلم، وعدم انطلاقهم من قاعدة ثابتة ، و هو و إن لم يفرق بين الخجل و الخوف ، إلا أننا نستطيع أن نضع بعض التعريفات والتى منها يلمس القارىء الفارق بين هذه الأنواع الثلاثة :

فالحياء هو ترك العمل الذى يستحى منه ، سواء كان من الناس أو من الله ، أو أمر تردع عنه و تزجر من يرتكبه .

و الخجل هو ترك ما لا حياء فى عمله ، ومنه ترك الانسان أشياء له بدون مدافعة لكن لو تابع الأمر و أخذ ذاك الشئ لا يلقى ملامة من الناس .

أما الخوف فهو انحراف سلوكى ، يسيطر على مشاعر الانسان و يجعله غير قادر على المجابهة فان كان خوفاً من الله ، و محاسبة للنفس فهو تصرف محمود ، و تدعو إليه الفطرة العقدية و هذا فان لكل واحد من هذه الثلاثة دلالة و مفهوماً ينفرد به .

و الحياء شعبة من شعب الايمان و ديننا الاسلامى يأمر به ، و ينهى عن ضده و هو البذاء ، أو ما يسمى فى عرف الناس : الوقاحة أو البجاحة ، فقد أخرج الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الحياء من الايمان و الايمان فى الجنة ، و البذاء من الجفاء و الجفاء فى النار » .

و إذا كان علماء النفس يعتبرون الخجل و الحياء والخوف ، أمراضاً يجب وصف العلاج لها و ترويض النفس عليها لتتخلص من هذه النجاسة ، و العبارة لمؤلف هذا الكتاب ، و يعتبر مفاتحة الجنس الآخر فى أمر الصداقة خجلا ، فانه قد ارتكز على أمور قوية فى هدم الشخصية ، تدعو للتحلل من قيم الأخلاق ، و رابطة التنظيم الاجتماعى فى البيئة .

فان الاسلام قد رسم طريقاً لمفهوم الحياء ، الذى لا يأتى إلا بخير كما قال رسول الله ﷺ فى حديث رواه البخارى و مسلم عن عمران بن حصين و علق عليه بشير بن كعب : « إنه مكتوب فى الحكمة : إن منه - أى من الحياء - وقاراً ، و منه سكينة » .

و لقد مر رسول الله ﷺ على رجل من الأنصار و هو يعظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله ﷺ : دعه فان الحياء من الايمان ، و فى رواية من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر على رجل وهو يعاتب أخاه فى الحياء يقول : إنك لتستحى حتى كأنه يقول : قد أضر بك ، فقال رسول الله ﷺ : دعه فان الحياء من الايمان ، رواه الجماعة .

و الحياء فى مفهوم الاسلام الحث على الحلال من الرزق ، و اجتناب المحرمات ، و الحياء من عملها ، و الانطلاق من مفهوم الاسلام فى العمل ، و استعمال الجوارح فيما يرضى الله ، و هو مفهوم عام فى التعامل مع النفس ومع الجماعة ، وبهذا يتكون المجتمع الصالح الذى لا يتطاول فيه أحد على أحد ، و لا يعتدى قوى على حقوق المستضعفين ظلماً و عدواناً ، كما جاء فى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا إنا لنستحى من الله يا رسول الله ، و الحمد لله ، قال ،

ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ، أن تحفظ الرأى وما وعى ، و البطن و ما حوى ، و تذكر الموت و البلى ، و من أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، و آثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء ، رواه الترمذى .

ويكفى فى الحرص على الحياء أن رسول الله ﷺ اعتبره من خلق الاسلام المميز لابنائه عن الديانات الأخرى ، وأنه ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها و أنه لا يغار إلا لله و عند ما تنتهك محارمه .

والخوف أيضاً مرغوب فيه لأنه عبادة إذا كان خوفاً من الله وأليم عقابه ، و يتحول إلى أمور تخل بالعقيدة عند ما يشارك المخلوق فى خوفه العباد بخلقهم فيعمل أعمالا تنافى ما تدعو إليه شريعة الاسلام .

إن نظرة الاسلام نحو الخجل و الخوف ، هو نظرة التنظيم و التوجيه ، و الاهتمام بالنفس البشرية فى تسيير أحوالها ، و تجميلها بما هو من صفاتها الكمالية ، والبعد عما يحرفها عن مسارها الطبعى فى العلاقة بالله وهو سر الوجود .

و لذا فان هذا التنظيم يسير من منطلق الوسطية و الأدب ، كالملح فى الطعام إن كثر فيه أمذه ، و إن قل فيه أفقده مذاقة المرغوب ، فهو يأخذ بالأمور المستحسنة ذات المصلحة الذاتية ، و يوجهها و ينظمها وفق منطلق شريعة الاسلام من حيث وضع الشئ فى مكانه ، و الاسترشاد بالدليل النقلى ، إلى جانب الدليل العقلى .

والفارق بين اتجاه الاسلام للدليل العقلى و اتجاههم إليه ، أن الدليل العقلى فى الاسلام تحكمه أعراف و عادات ، و هذه الأعراف و العادات نظمها الدليل النقلى و النص الظاهر ، أما عندهم فالدليل العقلى خاضع لمفهومهم الذى لا يحده

حدود ، و لذا تختلف المقاييس و الأعراف من مجتمع إلى مجتمع حسبما هو سائد عندهم .

و هذا الفارق هو ما نلمسه فى مفهوم الحياء و الخجل عندهم إذ يرونه مرضاً يجب علاجه ، بينما هو فى الاسلام خصلة محمودة منظمة ، بها تستقيم أحوال الأمة ، والحديث الشريف يقول : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأول إذا لم تستحى فافعل ما شئت » رواه البخارى و أبوداؤد ، فالديانات كلها دعت إليه و تركه تمرد عليها .

وهذا ما يدعو إلى إخراج علم نفسى إسلامى ، مستمد من مصدرى التشريع فيه ، كتاب الله و سنة رسوله الكريم ﷺ ، و منظمة قواعده بالبراهين ، ليسد فراغاً فى هذا الميدان ، و يستبدل به علم النفس الوافد على ديار الاسلام ، و لتفرض عليه القضايا النفسية فى العلاج أيضاً من نظرة شريعة الاسلام ، التى تحرص على تنمية النفس و تقويتها وبعث الثقة فيها و تمكين الرابطة بالله شعوراً و إحساساً ، و مراقبة و عملا .

و سيرى أصحاب الاختصاص أن نظرة الاسلام أقرب إلى دواخل النفوس و أمكن فى غزو القلوب ، و أكثر أثراً فى إعطاء النتائج المريحة ، مما رسمته تلك الكتب فى طريقتها المتداخلة فى العرض ، أو محاولة اقتناص مسارب الحلول دون تركيز على قاعدة تابعة .

الفقه الاسلامي :

محاولة لتحليل المعاملات الربوية ، إبطال شبه الدكتور ابراهيم الناصر

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لادارات البحوث العلمية و الافتاء و الدعوة و الارشاد
(الرياض)

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و أصحابه و من اهتدى بهداه أما بعد :

فقد اطلعت على البحث الذى أعده الدكتور ابراهيم بن عبد الله الناصر تحت عنوان « موقف الشريعة الاسلامية من المصارف » فألفيته قد حاول فيه تحليل ما حرم الله من الربا بأساليب ملتوية وحجج واهية وشبه داحضة ، ورأيت أن من الواجب على مثلى بيان بطلان ما تضمنه هذا البحث ومخالفته لما دل عليه الكتاب و السنة و إجماع علماء الأمة من تحريم المعاملات الربوية و كشف الشبه التى تعلق بها و بيان بطلان ما استند إليه فى تحليل ربا الفضل و ربا النسيئة ما عدا مسألة واحدة و هى ما اشتهر من ربا الجاهلية من قول الدائن للمدين المعسر عند حلول الدين إما أن تربى و إما أن تقضى ، فهذه المسألة عند ابراهيم المذكور هى المحرمة من مسائل الربا و ما سواها فهو حلال ، ومن تأمل كتابته اتضح له منها ذلك و سأبين ذلك إن شاء الله بياناً شافياً يتضح به الحق و يزهق به الباطل و الله المستعان و عليه التكلان و لا حول و لا قوة إلا بالله ، و إلى القارىء بيان ذلك :

أولا : قال ابراهيم فى أول بحثه ما نصه « يمكن القول أنه لن تكون هناك قوة إسلامية بدون قوة اقتصادية و لن تكون هناك قوة اقتصادية بدون بنوك و لن تكون هناك بنوك بلا فوائد »

والجواب : أن يقال يمكن تسليم المقدمة الأولى لأن المسلمين فى كل مكان يجب عليهم أن يعنوا باقتصادهم الاسلامى بالطرق التى شرعها الله سبحانه حتى يتمكنوا من أداء ما أوجب عليهم و ترك ما حرم الله عليهم و حتى يتمكنوا بذلك من الاعداد لعدوهم وأخذ الحذر من مكائده ، قال الله عز وجل « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، وقال سبحانه « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه و ليكتب بينكم كاتب بالعدل و لا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب و ليملل الذى عليه الحق و ليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً ، إلى قوله سبحانه : إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها و أشهدوا إذا تبايعتم و لا يضار كاتب و لا شهيد » الآية ، وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » الآية . وقال سبحانه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » الآية ، والآيات فى هذا المعنى كثيرة و هى مشتملة على توجيه الله سبحانه لعباده إلى التعاون على كل ما ينفعهم فى أمر دينهم ودنياهم وأمرهم بالتعاون على البر والتقوى وتحذيرهم من التعاون على الاثم والعدوان كما أمرهم سبحانه بالوفاء بالعقود و إثبات حقوقهم بالطرق الشرعية و حذرهم من أكل أموالهم بالباطل ، و أمرهم سبحانه بالاعداد لعدوهم ما استطاعوا من قوة ، وبذلك يستقيم اقتصادهم الاسلامى و يحصل بذلك تنمية الثروات و تبادل المنافع و الوصول إلى حاجاتهم و مصالحهم بالوسائل التى

شرع الله لهم، كما حذرهم سبحانه فى آيات كثيرات من الكذب والخيانة وشهادة الزور و كتمان شهادة الحق و من أكل أموالهم بينهم بالباطل و الادلاء بها إلى الحكام ليميلوا عن الحق إلى الحكم بالجور، وعظم سبحانه شأن الأمانة وأمر بادائها فى قوله عز وجل « إن الله يأمر أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، و قوله سبحانه « إنا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها » الآية، وحذرهم عز وجل من خيانة الأمانة فى قوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله و الرسول و تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » و وصف عباده المؤمنين فى سورة المؤمنين و فى سورة المعارج بأنهم يرعون الأمانات و العهود و ذلك فى قوله سبحانه « و الذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون » ، فمتى استقام المسلمون على هذا التعليم و التوجيه وتواصوا به و صدقوا فى ذلك فان الله عز وجل يصلح لهم أحوالهم و يبارك لهم فى أعمالهم و ثرواتهم و يعينهم على بلوغ الآمال والسلامة من مكائد الأعداء، وقد أكد هذه المعانى سبحانه فى قوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين » و فى قوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » وقال سبحانه « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط و لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى، و اتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » و قال سبحانه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » الآية، وقال عز وجل « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم» والآيات فى هذا أكثر من أن تحصر، و أما المقدمتان الثانية والثالثة وهما قوله: و لن تكون هناك قوة اقتصادية بدون بنوك و لن تكون هناك بنوك

بلا فوائد، فهما مقدمتان باطلتان والأدلة الشرعية التى قدمنا بعضها وما درج عليه المسلمون من عهد نبيهم ﷺ إلى أن أنشئت البنوك، كل ذلك يدل على بطلان هاتين المقدمتين فقد استقام اقتصاد المسلمين طيلة القرون الماضية و هى أكثر من ثلاثة عشر قرناً بدون وجود بنوك وبدون فوائد ربوية وقد نمت ثرواتهم واستقامت معاملاتهم و حصلوا على الأرباح الكثيرة و الأموال الجزيلة بواسطة المعاملات الشرعية، و قد نصر الله المسلمين فى عصرهم الأول على أعدائهم و سادوا غالب المعمورة و حكموا شرع الله فى عباده و ليس هناك بنوك و لا فوائد ربوية بل الصواب عكس ما ذكره الكاتب ابراهيم، وهو أن وجود البنوك والفوائد الربوية صار سبباً لتفرق المسلمين و انهيار اقتصادهم وظهور الشحناء بينهم وتفرق كلمتهم إلا من رحمه الله، وما ذاك إلا لأن المعاملات الربوية تسبب الشحناء والعداوة وتسبب المحق ونزع البركة وحلول العقوبات، كما قال الله عز وجل «يمحق الله الربا ويربى الصدقات » و لأن ما يقع بين الناس بسبب الربا من كثرة الديون و مضاعفتها بسبب الزيادة المتلاحقة كل ذلك يسبب الشحناء و العداوة مع ما ينتج عن ذلك من البطالة وقلة الأعمال والمشاريع النافعة لأن أصحاب الأموال يعتمدون فى تنميتها على الربا ويعطلون الكثير من المشاريع المفيدة النافعة من أنواع الصناعات وعمارة الأرض وغير ذلك من أنواع الأعمال المفيدة، و قد شرع الله لعباده أنواعا من المعاملات يحصل بها تبادل المنافع ونمو الثروات والتعاون على كل ما ينفع المجتمع و يشغل الأيدى العاطلة و يعين الفقراء على كسب الرزق الحلال و الاستغناء عن الربا والتسول وأنواع المكاسب الخبيثة، ومن ذلك المضاربات وأنواع الشركات التى تنفع المجتمع و أنواع المصانع لما يحتاج إليه الناس من السلاح و الملابس والأوانى و المفارش و غير ذلك ، و هكذا أنواع الزراعة التى تشغل بها الأرض

و يحصل بها النفع العام للفقراء و غيرهم و بذلك يعلم كل من له أدنى بصيرة أن البنوك الربوية ضد الاقتصاد السليم وضد المصالح العامة ومن أعظم أسباب الانهيار و البطالة و محق البركات و تسليط الأعداء و حلول العقوبات المتنوعة و العواقب الوخيمة، فنسأل الله أن يعافى المسلمين من ذلك و أن يمنحهم البصيرة والاستقامة على الحق .

ثانياً : قال ابراهيم : إن وظيفة الجهاز المصرفى فى اقتصاد ما تشبه إلى حد قريب وظيفة القلب بالنسبة لجسم الانسان تماما . . . الخ .

والجواب : ليس الأمر كما قال بل يمكن أن يقوم الجهاز المصرفى بما ذكره الكاتب من غير حاجة إلى الربا ولا ضرورة إليه كما قام اقتصاد المسلمين فى عصورهم الماضية و فى عصرهم الأول الذهبى بأكمل اقتصاد و أطهره من دون وجود بنوك ربوية كما تقدم، وقد نصر الله بهم دينه وأعلى بهم كلمته وأدر عليهم من الأرزاق و الغناء و أخرج لهم من الأرض ما كفاهم و أغناهم و أعانهم على جهاد عدوهم و حماهم به من الحاجة إلى ما حرم الله عليهم، ومن درس تاريخ العالم الاسلامى من عهد النبي ﷺ إلى ما قبل إنشاء المصارف الربوية علم ذلك يقيناً و إنما يؤتى المسلمون و غيرهم فى اقتصادهم و نزع البركات مما فى أيديهم بأسباب انحرافهم عن شريعة الله وعدم قيامهم بما أوجب الله عليهم وعدم سيرهم على المنهج الذى شرعه الله لهم فيما بينهم من المعاملات، وبذلك تنزل بهم العقوبات وتحل بهم الكوارث بأسباب أعمالهم المخالفة لشرع الله كما قال عز وجل « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير » و قال عز وجل « و لو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض و لكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » و قال سبحانه « و لو أن أهل الكتاب آمنوا و اتقوا لكفرنا عنهم

سيئاتهم و لأدخلناهم جنات النعيم، و لو أنهم أقاموا التوراة و الانجيل و ما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم » الآية ، و قال تعالى « و من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه » و قال سبحانه « و من يتق الله يجعل له من أمره يسراً » .

ثالثاً : ذكر ابراهيم فى بحثه ما نصه : والسؤال الذى لم نعثر له على جواب حتى الآن هو كيف ينظر فقهاء المسلمين إلى الظاهرة الاقتصادية للفائدة ولماذا يعتبر القرض بالفائدة محرما فى نظرهم . . الخ .

والجواب : عما ذكره هنا إلى نهاية بحثه المشار إليه أن يقال إنما نظر الفقهاء من سائر علماء المسلمين فى أمر الفائدة وعلقوا بها التحريم لأن الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ أناطت بها التحريم و هى أحاديث مستفيضة عن النبي ﷺ لا مغمز فيها، وهى تدل دلالة صريحة قطعية على أن بيع المال الربوى بجنسه مع أى زيادة و لو قلت ربا صريح محرم و لكن الكاتب ابراهيم المذكور - هداه الله و ألهمه رشده - أعرض عنها كلها و لم يلتفت إليها و إنما تكلم على الربا المجمل الوارد فى القرآن الكريم وحاول بكل ما استطاع أن يحصر الربا فى مسألة واحدة وهى ما إذا أعسر المدين واتفق مع الدائن على إمهاله بفائدة معينة، هذا ملخص بحثه وما سوى ذلك فقد حاول فى هذا البحث إلحاقه بقسم الحلال لحاجة الناس بزعمه إلى ذلك، و أن هذا هو الذى تقوم به المصارف، وزعم أن الحاجة داعية إلى ذلك وأن مصالح العباد لا تتم إلا بهذه المعاملات الربوية التى تستعملها البنوك و قد تعلق بأشياء مجملة من كلام الموفق بن قدامة و شيخ الاسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم رحمهم الله جميعاً فيما ذكروه عن المصلحة، وأن الشرع الشريف لا يمنع تحقيق المصالح التى تنفع المسلمين بدون ضرر على أحد و لا مخالفة لنص

من الشرع المطهر ، وهذا كله لا حجة له فيه لأن المصالح التى أراد مؤلاء الأئمة و أمثالهم تحقيقها إنما أرادوا ذلك حيث لا مانع شرعى يمنع من ذلك ، وذلك فى المسائل الاجتهادية التى لا نص فيها يوضح الحكم الشرعى، وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن النبى ﷺ على تحريم ربا الفضل و على تحريم ربا النسيئة ، وذكر بعض أهل العلم أن تحريم ربا الفضل من باب تحريم الوسائل لأن عاقلا لا يبيع شيئاً بأكثر منه من جنسه يداً بيد ، و إنما يكون ذلك إذا كان أحد العوضين مؤجلا أو كان أحدهما أنفس من الآخر و لهذا لما باع بعض الصحابة رضى الله عنهم صاعين من التمر الردىء بصاع واحد من التمر الطيب وأخبر النبى ﷺ بذلك قال له النبى ﷺ أوه عين الربا عين الربا لا تفعل ، الحديث متفق عليه، وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل ولا تشفو بعضها على بعض ولا تبيعوا الفضة بالفضة إلا مثلا بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض و لا تبيعوا منها غائباً بناجز ، و فى صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : الذهب بالذهب و الفضة بالفضة و البر بالبر و الشعير بالشعير و التمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يداً بيد فاذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد، و الأحاديث فى هذا المعنى كثيرة فى الصحيحين و غيرهما ، و أما قول النبى ﷺ فى حديث أسامة بن زيد رضى الله عنه « إنما الربا فى النسيئة » فالمراد به عند أهل العلم معظم الربا و ليس مراده ﷺ كل أفراد الربا للحديثين السابقين و ما جاء فى معناهما من الأحاديث الصحيحة، وقد علم أن المعاملات الربوية تجمع بين ربا الفضل وربا النسيئة فان المودع بالفائدة قد جمع هو وصاحب البنك بين الأمرين و هما النسيئة و الفائدة فباء باثم المعاملتين ، و أما كون المرابى الباذل للفائدة ، قد

يكون محتاجا فهذا ليس هو الموجب للتحريم وحده بل قد جمع هذا العقد بين الربا وبين ظلم المعسر بتحميله الفائدة، وقد عجز عن الأصل و بذلك تكون المعاملة معه على هذا الوجه أعظم تحريماً وأشد إثماً لأن الواجب إنظاره وعدم تحميله ما حرم الله من الربا و أما اشتراك الدائن و المدين فى الانتفاع بالمعاملة الربوية و أن كل واحد منهما يحصل منها على فائدة فهذا الاشتراك لا ينقل المعاملة من التحريم إلى الحل و لا يجعلها معاملة شرعية يباح فيها الربا لأن الشارع الحكيم لم يلتفت إلى ذلك بل حرم الفائدة تحريماً مطلقاً و نص على ذلك الرسول ﷺ فى أحاديث كثيرة منها ما تقدم، ولو كان انتفاع المدين بالفائدة يحلها لنص عليه المولى سبحانه و بينه فى كتابه الكريم أوعلى لسان رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، وقد قال الله عز وجل فى سورة النحل «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ و هدى و رحمة وبشرى للمسلمين » ، وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ أنه قال ما بعث الله من نبى إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم و ينذرهم شر ما يعلمه لهم و معلوم أن نبينا ﷺ هو أفضل الرسل و أكملهم بلاغا وأتمهم بيانا فلو كانت المعاملة بالفائدة المعينة جائزة إذا كان المدين ينتفع بها لبينها النبى ﷺ لأمته و أوضح لهم حكمها فكيف و قد بين ﷺ فى صريح أحاديثه تحريمها والتحذير منها والوعيد على ذلك، وقد علم أن السنة الصحيحة تفسر القرآن و تدل على ما قد يخفى منه كما قال تعالى فى سورة النحل « و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون » ، و قال عز وجل « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» والآيات فى هذا المعنى كثيرة، وأما مانقله عن الشيخ رشيد رضا فى إجازته الربا فى صندوق التوفير فهو غلط منه و لا يجوز أن يعول عليه و الحجة قائمة عليه

و على غيره من كل من يحاول مخالفة النصوص برأيه و اجتهاده و قد تقرر فى الأصول أنه لا رأى لأحد ولا اجتهاد لأحد مع وجود النص وإنما محل الرأى و الاجتهاد فى المسائل التى لا نص فيها، فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر إذا كان أهلا للاجتهاد واستفرغ وسعه فى طلب الحق لما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر، متفق على صحته من حديث عمرو بن العاص رضى الله عنه، وأخرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه مثله ، أما المسائل التى نص على حكمها القرآن الكريم أو الرسول ﷺ فى سنته فليس لأحد أن يجتهد فى مخالفة ما دل عليه النص بل الواجب التمسك بالنص و تنفيذ مقتضاه باجماع أهل العلم ، و الله المستعان و لا حول و لا قوة إلا بالله .

رابعاً : ثم قال الكاتب الدكتور إبراهيم فى نهاية البحث ما نصه .. « وخلاصة البحث بعد هذه المقارنة الواضحة بين الربا الذى ورد تحريمه فى القرآن الكريم وبين المعاملات المصرفية يتضح لنا أن المعاملات المصرفية تختلف تماماً عن الأعمال الربوية التى حذر منها القرآن الكريم لأنها معاملات جديدة لا تخضع فى حكمها للنصوص القطعية التى وردت فى القرآن الكريم بشأن حرمة الربا، ولهذا يجب علينا النظر إليها من خلال مصالح العباد و حاجاتهم المشروعة اقتداء برسول الله ﷺ فى إباحته بيع « السلم » رغم ما فيه من بيع غير موجود و بيع ما ليس عند البائع مما قد نهى عنه رسول الله ﷺ فى الأصل وقد أجمع العلماء على أن إباحة السلم كانت لحاجة الناس إليه وهكذا فقد اعتمد العلماء على « السلم » و على أمثاله من نصوص الشريعة فى إباحة الحاجات التى لا تتم مصالح الناس فى معاشهم إلا بها،

والجواب : أن يقال إن المعاملات المصرفية لا تختلف عن المعاملات الربوية

التى جاء النص بتحريمها ، و الله سبحانه بعث نبيه ﷺ إلى جميع الثقلين وشرع لهم من الأحكام ما يعم أهل زمانه ومن يأتى بعدهم إلى يوم القيامه فيجب أن تعطى المعاملات الجديدة ، حكم المعاملات القديمة إذا استوت معها فى المعنى، أما اختلاف الصور و الألفاظ فلا قيمة له إنما الاعتبار بالمعانى و المقاصد ، ومعلوم أن مقاصد المتأخرين فى المعاملات الربوية من جنس مقاصد الأولين و إن تنوعت الصور و اختلف الألفاظ فالتفريق بين المعاملات الربوية القديمة والجديدة بسبب اختلاف الألفاظ و الصور مع اتحاد المعنى و المقاصد تفريق باطل ، و قد جعل النبى ﷺ قول من قال يوم حنين اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط مثل قول بنى إسرائيل لموسى « اجعل لنا إلها كما لهم آلهة » ولم ينظر النبى ﷺ إلى اختلاف الألفاظ لما اتحد المعنى ، وهكذا عاقب الله بنى إسرائيل لما نصبوا الشباك ليصيدوا بها الصيد المحرم عليهم يوم السبت ، ولم يعذرهم بهذه الحيلة مع أنهم لم يأخذوا الصيد من الشباك إلا يوم الأحد وذلك لاتحاد المعنى وإن اختلفت الوسيلة، والأمثلة فى هذا كثيرة فى النصوص الشرعية ، وقد صح عن الرسول ﷺ أنه قال : لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل ، وأما التشبيه بالسلم فهو من باب المغالطة و التعلق بما لا ينفع فان إباحة السلم من محاسن الشريعة الكاملة وقد أباحه الله سبحانه لحاجة العباد إليه وشرط فيه شروطاً تخرجه عن المعاملات المحرمة فهو عقد على موصوف فى الذمة بصفات تميزه وتبعده عن الجهالة والغرر إلى أجل معلوم بثمن مجعل فى المجلس يشترك فيه البائع و المشترى فى المصلحة المرتبة على ذلك ، فالبائع ينتفع بالثمن فى تأمين حاجاته الحاضرة و المشترى ينتفع بالمسلم فيه عند حلوله لأنه اشتراه بأقل من ثمنه عند الحلول و ذلك فى الغالب فحصل للتعاملين فى عقد السلم الفائده من دون ضرر ولا غرر ولا جهالة ولا ربا ، أما المعاملات الربوية فهى مشتملة على زيادة

معينة نص الشارع على تحريمها فى بيع جنس بجنسه نقدا أو نسيئة وجعله من أكبر الكبائر لماله سبحانه فى ذلك من الحكمة البالغة و لما للعباد فى ذلك من المصالح العظيمة والعواقب الحميدة التى منها سلامتهم من تراكم الديون عليهم ومن تعطيلهم المشاريع النافعة و الصناعات المفيده اعتماداً على فوائد الربا .

وأما زعم الكاتب إبراهيم أن المصارف والأعمال المصرفية حاجة من حاجات العباد لا تتم مصالح معاشهم إلا بها . . إلخ ، فهو زعم لا أساس له من الصحة ، و قد تمت مصالح العباد فى القرون الماضية قبل القرن الرابع عشر و قبل وجود المصارف و لم تتعطل حاجاتهم و لا مشاريعهم النافعة وإنما يأت الخلل و تتعطل المصالح من المعاملات المحرمة و عدم قيام المجتمع بما يجب عليه فى معاملة إخوانه من النصح و الأمانة و الصـــدق و البعد عن جميع المعاملات المشتملة على الربا أو الغرر أو الخيانة أو الغش ، و الواقع بين الناس فى سائر الدنيا يشهد بما ذكرنا ولا سبيل إلى انتعاش المصالح وتحقيق التعاون المفيد إلا بسلوك المسلك الشرعى المبنى على الصدق و الأمانة و الابتعاد عن الكذب والخيانة و سائر ما حرم الله على العباد فى معاملاتهم كما قال الله سبحـانه فى كتابه المبين « و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الاثم و العدوان ، و قال سبحانه ، « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » الآية ، و قال سبحانه « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله و الرسول و تخونوا أماناتكم و أنتم تعلمون » ، وقال عز و جل « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه و لا يبخس منه شيئاً » الآية ، وقال تعالى

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم » ، و قال النبي ﷺ ، البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما و إن كتما و كذبا محقت بركة بيعهما » متفق على صحته ، و عن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « الذهب بالذهب و الفضة بالفضة و البر بالبر و الشعير بالشعير و التمر بالتمر و الملح بالملح مثلا بمثل يداً بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى ، الآخذ و المعطى فيه سواء » رواه أحمد و البخارى .

و عن جابر رضى الله عنه قال « لعن رسول الله ﷺ آكل الربا و مؤكله و كاتبه و شاهديه و قال هم سواء » رواه مسلم .

و عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء ، و البر بالبر ربا الا هاء وهاء ، و الشعير بالشعير ربا الا هاء و هاء ، و التمر بالتمر ربا الا هاء وهاء » متفق عليه ، وقال عليه الصلاة السلام « من غشنا فليس منا » رواه مسلم ، وقال عليه الصلاة والسلام « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر فقالوا بلى يا رسول الله فقال : الاشراك بالله و حقوق الوالدين و كان متكئا فجلس فقال ألا و قول الزور ألا وشهادة الزور » متفق عليه ، والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، و لا يجوز لأحـــد من الناس أن يحلل ما حرم الله بالنص قياساً على ما حلل الله بالنص وحاول أن يحلل ما حرم الله من الربا قياساً على ما أحل الله من السلم فقد أتى منكراً عظيماً و قال على الله بغير علم و فتح للناس باب شر عظيم و فساد كبير و إنما يجوز القياس عند أهل العلم القائلين به فى المسائل الفرعية التى لا نص فيها إذا استوفى الشروط التى تلحق الفرع بالأصل كما هو معلوم فى محله و قد حرم الله القول عليه بغير علم و جعله فى مرتبة فوق مرتبة الشرك وبين عز و جل أن الشيطان يدعو إلى ذلك و يأمر به كما يدعو إلى الفحشاء و المنكر

قال الله سبحانه تعالى « قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم و البغى بغير الحق و أن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا و أن تقولوا على الله ما لا تعلمون » و قال سبحانه « يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين، إنما يأمركم بالسوء و الفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » فنسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين وأن يمنحهم الفقه فى الدين و أن يوفق علماءهم لبيان ما أوجب الله عليهم من أحكام شرعه والدعوة إلى دينه والتحذير مما يخالفه وأن يكفيهم شر أنفسهم وشر دعاة الباطل ، و أن يوفق الكاتب إبراهيم للرجوع إلى الحق و التوبة مما صدر منه و إعلان ذلك على الملأ لعل الله يتوب عليه كما قال عز و جل « و توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » و قال سبحانه « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات و الهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم.

و لا شك أن مقاله يحتاج إلى أكثر مما كتبت و لكن أرجو أن يكون فيما بينته مقنع و كفاية لطالب الحق ، و الله المستعان و هو حسبنا و نعم الوكيل و صلى الله و سلم على نبينا محمد و آله و صحبه .

أهم جوانب التعليم المدرسى

فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوى
عميد كلية اللغة العربية بجامعة ندوة العلماء
تعريب : محمد إبراهيم الردولوى

أبعاد التعليم المدرسى :

إن نظام التعليم المدرسى الذى يبدأ للطفل عندما يبلغ من عمره أربع أو خمس سنوات ، يستمر إلى ما بعد بلوغه رشده ، و يزداد اتساعاً و تعمقاً بالتدريج ، هذا النظام و إن كان لا يغنى الطفل من نظام البيت و لكنه يتدرج إلى امتلاك التأثيرات الجذرية بالمقارنة مع تأثيرات البيت ويغنى عنه إلى حد كبير ، و يؤدى دوراً فعالا فى مجال تكوين العقلية و الميول .

العناصر الأساسية لنظام المدرسة :

توجد ضمن نظام المدرسة أو تشكله ثلاثة عناصر هامة ، المعلمون والمشرفون على شئون التعليم ، المواد ونظام التعليم ، الطلاب أنفسهم ، ولكل من الثلاثة أهميته .

و لقد مر نظام التعليم الانسانى عبر العصور بمراحل مختلفة نال فيها جانب من هذه الجوانب الثلاثة لنظام التعليم أهمية و نفوذا زائدين بالنسبة لغيره ، و فاقه بالسيطرة بنسبة أغلبية .

المنظم و المعلم :

أما القائم بمسئولية التعليم و تنظيمه (المعلم و المنظم) فتاريخ المعلم منهما غارق فى القدم ومسلم بنفوذه وقوته منذ غابر الأزمان، وأما المنظم فيرجع تاريخه إلى عهد التطور والتجديد فى نظام المدرسة فهو وليد عهد الرقى والتقدم فى النظام

التعليمى و من قبل كان المعلم وحده يتحمل جميع الشئون و المسئوليات التعليمية .

المعلم رغما عما له من الأهمية القصوى لا يقدر على التأثير فى الطلاب و التعليم كما يليق بعظم أعماله ، فتنحصر وظيفته فى توفير التسهيلات وتنظيم الأمور وتحضير المعدات و الأدوات اللازمة التى تساعد فى سير الأعمال التعليمية وتحقيق أغراضها و أهدافها المنشودة بصورة حسنة و على وجه أكمل ، أما المعلم فبالعكس من ذلك له الكلمة النافذة و تدخل مباشر على أوسع حدود ، ويشهد تاريخ الحياة البشرية بجسامة أعماله و جلالة شأنه ، فالمعلم سواء كان أستاذ جامعة أو مدرسة عليا أو مدرساً فى زاوية صغيرة فى حى من الأحياء أو يزاول وظيفة التدريس شخصياً بدون انتماء إلى معهد أو مركز ، يملك إلى حد كبير القدرة على التأثير وزرع الأفكار و إفراغ المعانى العظام فى قلوب الطلاب و عقولهم .

أهمية المعلم :

وفى العصور القديمة التى لم يكن فيها نظام التعليم على نظام واسع ، عادة كان المعلم وحده جماع الأمور و ملاك كل شئ ولم يكن من عاقل ينكر هذه الحقيقة أو يتجاهلها ، ولم يقلل تطور نظام التعليم و اتساعه من قيمته ومكانته ولا أهميته ، فالمدارس القديمة على الاطلاق ولو كانت جامعة أكسفورد و كيمبردج فى انكلترا تحل الأستاذ مكانة مرموقة وتراه بعين الاجلال و التقدير ، فان ما يعول الطلاب فيها على أساتيذهم و يرتبطون بهم لا يعولون مثله على الجهاز الادارى و اللجان المسئولة و المسئولين فيها ، فالأستاذ هو الذى يقوم بالتعليم و التربية و الاشراف ، و يقدر مؤهلاتهم و كفاءاتهم ، بل وعليه يتوقف مدى نجاحهم و رسوبهم ، والجهاز الادارى فى الجامعة يطلق الاعتماد على رأيه فى عملياته المختلفة من القيد والفصل .

و قد نال المعلم فى التاريخ الاسلامى عبر العصور الأهمية الأولية و فوض إليه عنان القضايا التعليمة وسلم له بفضل التحكم .

المتعلم و مادة التعليم :

أيا كانت نوعية التعليم يحمل العنصران منه أهمية بالغة ، المتعلم الذى يتصدى لتلقى العلوم و المعارف ، و مادة التعليم التى يتلقاها المتعلم ، أما المتعلم فيجرى عمله التعليمى فى كل بيئة و على أية طريقة و يستلقف المعلومات بناء على مشاهداته و عن طريق سماعه ويستمر عمل تعلمه عفوياً على هذا الغرار ولا يحتاج فى ذلك إلى أستاذ أو مدرسة مستقلة ، فان المتعطش إلى العلم يتسنى له الحصول على ما يحتاج إليه بأى طريق من الطرق .

و لكن هذه الطريقة من التعلم إنما تجدى الطالب المتفطن القوى الذاكرة والعقل ، لا الغبى الضعيف العقل ، ويجرى التعليم عندئذ على طريقة تقليدية متزمتة و لا يجد متسرباً إلى التعمق و الاتساع فى الحصول على المعارف و تلقى العلوم ، ولكن التعليم المنهجى يفيد كلا من الفطن و الغبى على السواء ، وتتخذ للوصول إلى هذا الهدف المطلوب الوسائل الكافية ويعد له نظام مناسب بعد الدراسة والاستقراء .

مادة التعليم :

قضية ما تتعلق بمادة التعليم فمتنوعة الوجوه وذات الخطورة ، فاما كانت مادة التعليم خاضعة لميول المعلم و هواياته فيختارها حسب ميله وعقيدته و نزعاته و إما أن تخضع لتنظيم خاص ولجان مخصصة لتدوينها فيضطر المعلم إلى بعض الالتزامات نحوها ، وعندما تسلمت الحكومات زمام القضايا التعليمية وجعلتها ضمن حدود اختصاصاتها وبقى عمل التعليم - وهو من الخطورة و الحساسية على ما هو عليه - ملزما بميول الحكومات و اتجاهاتها ، فاذا كانت تحمل نزعة دينية ، تتسم مواد التعليم بطابعها ، و إذا كانت ديمقراطية ، تصطبغ بصبغتها ، و إذا كانت حرة طليقة شريدة الميول و الأفكار ، تتجلى آثارها أيضاً فى التعليم .

التعليم عمل مستمر دائب :

عاشت الأعمال التعليمية مسافة زمنية بعيدة ظل التعليم فيها أداة لتعليم الصناعات و الحرف ، و للابقاء على القيم و الأقدار و الأفكار القبلية و العائلية ، و بذلك ما زال التعليم يشكل عملا مستمراً دائباً لنقل تراث الأسلاف و مآثر القدامى إلى الأحداث و الأجيال الجديدة مع ملاحظة الاستمرارية و تسلسل الأقدار و الصلاحيات المختلفة بدون غض النظر عن الاضافات الجديدة و الزيادات النافعة التى أدخلت على اقتضاءات الأطوار و الأدوار .

التركيز على الكتاب :

درج علماؤنا القدامى و غيرهم من الأسلاف المنتمين إلى المذاهب الأخرى الذين عملوا على تصنيف المناهج ، على اختيار الثروات العلمية المعينة بالنسبة لمادة التعليم بل وركزوا جهودهم فى إعطاء الكتاب الأولوية ، وصرفت المساعى على إلزام الطالب بأن لا يتجاوز حدوده فهماً و دراسة و تلقياً للمعلومات و المعارف إلى ما لا يتعلق به ، و فى هذه الطريقة يرغم الطالب على السير على خط مرسوم و درب معلوم بأسلوب يستنفد صبره و يستنزف عقله و فكره بصرف النظر عن استعداداته العقلية و صلاحياته الفكرية و مطاليبه و مواطن ضعفه ، و كان المعنيون بالتعليم والمسئولون عن المدارس فى عصر التخلف والانحطاط بصورة خاصة ، كانت أعناقهم مغلولة بالكتب المحددة المألوفة و يدورون حول المنهج القديم و لم يكونوا يتقاصرون عن فك هذا الأسر و إدخال التعديل فيه بالحذف و الزيادة فحسب ولكنهم كانوا يعدون ذلك خطئاً كبيراً و ذنباً لا يغتفر ، وعلى ذلك كان الطالب على رغم أنفه يقضى حياته المدرسية مشتغلا بالدراسة و التعلم على المنهج القديم التقليدى ، و طالما على النظام الرث البالى الفاقد الأثر الفارغ عن أى جدوى .

و من الحق على جانب أن التعديل فى التعاليم الدينية والقيم الراسخة والمسلمات البديهية التى توارثها الأجيال غير مقبول و لكن الأمور و القضايا التى لا تتصل بهذه التعاليم مطلقاً و لا تمت إلى القيم و الأقدار المتأصلة و المقدسة بأى صلة ولكنها وسائل وأساليب لا غير ، فالتزمت فيها أمر لا حاجة إليه ولا بأس بفك هذا الاسار بل ويتوجب التحرر من هذه القيود إذا كانت تعرقل طريق التقدم و التنمية و الازدهار .

لأن هذا الصلف و التزمت يدحض نفسية الطالب ويغمض النظر عن أعذاره و مطاليبه المشروعة و يؤدى فى غالب الأحوال إلى الارغام و الاكراه ويتكبس الوضع و يتكدر صفو الحياة و يحتال الطالب لوضع الأوزار الثقيلة عن عنقه ، ويشكل مثل هذا التعليم دواء مراً لا يستساغ وتعافه النفس بدل أن يكون محبباً مرغوباً فيه فى غير ما أوان .

فوائد التركيز على الكتاب و أضرارها :

مما قيل فى بيان وسرد الفوائد التى تحصل للطالب من التركيز على الكتاب أنه يساعد فى انضباط الذهن و الفكر ويمد فى تربية العقل وتثقيفه ، لأن الطالب يكرس مجهوده العقلى فى حل المتون ويضطر إلى التعود على تركيز الذهن فيتدرب العقل على التركيز و التدقيق مما لا محيص عنه فى حل المتون العويصة ويعين فيه ، ولا شك أن هذه الفائدة من الأسلوب التركيزى لا تنكر ولا يستهان بها كما لا مجال لنا بالجحود بأضراره و آفاته بحيث يعود هذا الأسلوب عبئاً ثقيلا بدرجات ومرات لا يستطيع تحمله الطالب الذى لا يتمتع بقسط أوفر من الفطانة و التعقل بالاضافة إلى ما يتصف بالتعسف و التقشف و الخشونة التى تدفع الطالب على التذمر و الامتعاض من تلقى العلوم و متابعة رحلة التعليم .

ليس المنهج و الكتاب إلا من و سائل التعليم فقط :

و لما كان المنهج أو الكتاب لا يعدو أن يكون وسيلة من وسائل التعليم فقط فالحق من دونما امتراء أن يستخدما ويتعامل معهما معاملة الوسائل و الأدوات، أما أن ينزل منزلة الأهداف و المقاصد فالأمر يتخطى الخطأ إلى الضرر المحتوم، إن المسلمين فى عهد حضارتهم و ازدهارهم الذى عاشوه فى أيامهم المضيئة الماضية إنما اعتبروهما وسيلة من الوسائل فقط فكان من الأسباب التى أنالتهم التفوق و العلو على الأمم الأخرى و اعترفت بفضلهم فى كل رهان و رأت فيهم أساتذة أكفاء فتعلمت منهم ما لم تكن تعلم من قبل و زادت و أضافت .

ولكن المسلمين لما أظل عليهم الانحطاط وحاق بهم الانحلال و تكدست فوق رؤسهم سحب التخلف والتقهقر و الانسجاب عن معترك الحياة دخل عليهم التزمت و تدخلت فى مناهجهم معايير زائفة و أساليب ركيكة وطرق بالية تناولها المعنيون الاخصائيون فى التعليم والتربية والثقافة بانتقادات صريحة، ومما يمكن أن يستدل به على ذلك هو ما كتبه المؤرخ الكبير ابن خلدون رحمه الله فى مقدمته .

« يتبع »

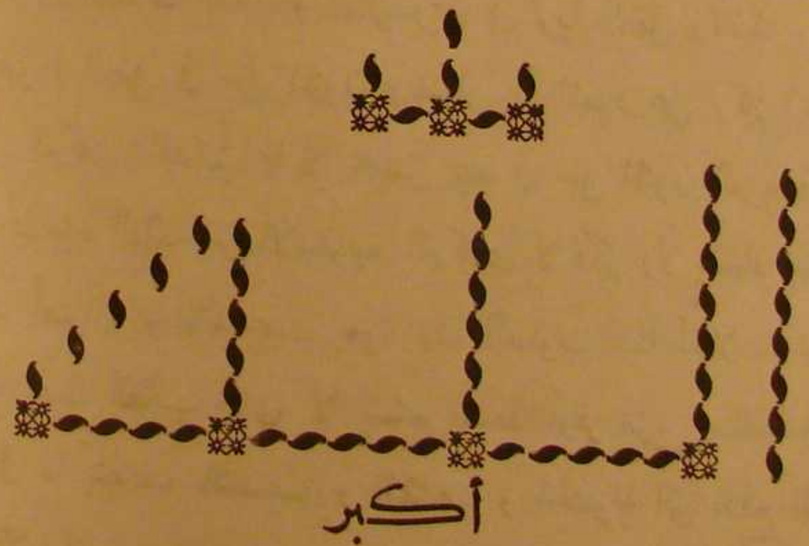

حقيقة المفردات الأعجمية فى القرآن

فضيلة الدكتور عبد الله عباس الندوى
المستشار التعليمى لجامعة ندوة العلماء لكهنؤ

هذا الموضوع مدروس قديماً فقد تناوله المفسرون القدامى منهم و المحدثون بالبحث والتحليل وبسطوا فيه الكلام، غير أن المجال للنظر فيه من وجهات أخرى لا يزال مفتوحاً . .

و إنى سأورد فى هذا البحث ، أصل المشكلة التى تعرض لها المفسرون ثم استعرض الحلول التى أتوا بها تمهيداً لعرض رأى فى هذا الموضوع عسى أن يكون أكثر إقناعاً وقبولا ، ولا أدعى أنه غاية الغايات لكن آمل أن يفتح مجال البحث و النقاش أمام المسلمين بعلوم القرآن الكريم، و الله الموفق .

استعراض الموضوع :

لقد تضافرت النصوص القرآنية الكثيرة على أن القرآن الكريم أنزله الله سبحانه و تعالى على رسوله العربى ﷺ - بلسان عربى مبين :

« نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » (١) .

« قرآنا عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون » (٢) .

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون » (٣) .

« و كذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى و من حولها (٤) .

(١) الشعراء : ١٩٣ — ١٩٦ . (٢) الزمر : ٢٨ .
(٣) فصلت : ٣ . (٤) الشورى : ٧ .

و فى جانب هذه الآيات الصريحة فى مدلولاتها ، و المحكمة فى معانيها وجد المفسرون مفردات ترد أصولها إلى ألسنة أعجمية ، و قد ألجأتهم هذه الظاهرة إلى البحث عن وجوه التأويل ليدركوا مجال التوفيق بين هذه الآيات و وجود تلك الكلمات .

و اهتم الامام السيوطى رحمه الله بهذا الموضوع أكثر من غيره من المفسرين فقد أفرد له كتاباً أسماه « المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب (١) كما خص باباً فى كتابه « الاتقان » النوع الثامن والثلاثون فيما وقع فيه لغير لغة العرب ، و أعاد هذا البحث فى كتابه « معترك الأقران فى إعجاز القرآن » (٢) تحت عنوان « الوجه الثالث عشر من وجوه إعجاز القرآن ، احتواوؤه على جميع لغات العرب و بلغة غيرهم من الفرس و الروم و الحبشة و غيرهم » (٣) وقد أورد السيوطى رحمه الله فى كتابيه « الاتقان » و « المعترك » ملخص ما ذكره فى مؤلفه « المهذب » من ألفاظ نسبها إلى ألسنة متفرقة « حيث تبلغ هذه الألفاظ أكثر من مائة » لفظة » ويقول :

« و قد نظم القاضى تاج الدين السبكى منها (أى من الألفاظ المنسوبة إلى غير العربية) سبعة و عشرين لفظاً فى أبيات » وذيل عليها الحافظ بن حجر بأبيات فيها أربعة و عشرون لفظاً ، و ذيلت (السيوطى) عليها بالباقى وهو بضع و ستون ، فتمت أكثر من مائة لفظة » .

و المفردات التى ذكرها السيوطى نثراً و نظماً هى أمثال :

(١) طبع أخيراً فى بغداد عام ١٩٦٩م مع تحقيق الدكتور عبد الله الجبورى .
(٢) طبع فى القاهرة مع تحقيق الأستاذ على محمد البيجاوى (عام الطبع غير مذكور) .
(٣) صفحة ١٩٥ .

السلسبيل ، كوثر ، بيع ، طوبى ، سجيل ، كافور ، قراطيس ، رق ، مشكاة ، سرادق ، استبرق ، صلوات ، سندس ، قسورة ، اليم ، كفلين ، فردوس ، التنور ، زنجبيل ، عبقرى ، و غيرها .

و قد تعرض المفسرون ومنهم السيوطى لهذه المشكلة وذهبوا مذاهب مختلفة فى البحث عن أسباب التوفيق بين وجود هذه الكلمات التى أصولها غير عربية و بين الآيات القرآنية الصريحة التى تصف القرآن بأنه نزل بلسان عربى مبين .

فقالوا : إن القرآن عربى كله وليس فيه مفردات أعجمية ، أما مايوهم الناس من مفرداته التى زعموا أنها من أصول غير عربية فهى لغات تعم جميع اللغات المعاصرة للقرآن ، « فقد تواردت اللغات عليها فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة على حد سواء .

هذا رأى أبى بكر أمين الطيب ، و ابن جرير الطبرى ، و الباقلانى .

وقبل أن أنقل رأياً آخر ، أرى أن أوضح هنا معنى المصطلح اللغوى « توارد اللغات » قد تطلق اللغات المعاصرة كلمة معينة لمعنى معلوم ، مثل توارد اللغات و اللهجات العربية فى أسماء ذات الصلة بالدين فاسم الجلالة « الله » ، و الصلاة و الصوم و الحج من هذا القبيل (١) حيث كانت هذه الألفاظ مستعملة فى اللهجات العربية على اختلافها .

ونظرا إلى أن الأسماء تدل على وجود المسميات ، والمسميات قد تدخل على أهل لغة ما من خارج منطقة نفوذها ، فتسمى بنفس الأسماء التى سماها بها أصحاب اللغة التى أنتجت فيها تلك الأشياء ، أو وجدت فيها لأول مرة ، و مثال ذلك الكافور

(١) اللغة : ج فندريس تعريب الدواخلى و القصاص طبع القاهرة ١٩٥٠ ص ١٧٢ / ١٧٣ .

و الزنجبيل (١) كانتا تستوردان من الهند ، فسميت بنفس الأسماء فى جميع اللغات المعاصرة من بينها العربية ، أو مثل سرادق بمعنى « الستائر » أصلها « سرا برده » الفارسية كان العجم يكسون جدرانهم بها ، أو استبرق بمعنى الديباج الغليظ بلغة العجم ، فجاءت هذه الكلمات مع مسمياتها وعمت البلدان المعاصرة وعرف بأسمائها ، كما نشهد فى عصرنا هذا أن الأسماء مثل « تلكس ، تلفون ، تلفزيون ، راديو » و أسماء الأجهزة الالكترونية و لوازم السفر معروفة فى جميع اللغات العالمية ، شرقية كانت أو غربية ، و هذا هو معنى توارد عليها اللغات .

وقد تدعو إلى توارد اللغات أمور اجتماعية أخرى مثل مخالطة الشعوب فى الأسفار و تجمعها فى المتاجر الكبرى و الروابط الثقافية و التجارية مع البلدان المجاورة ، والحاصل أن تداخل اللغات من طرق الاقتراض و الاحتكاك أو بأسباب وجود المسميات المستوردة ، أمر بديهى معترف به فى جميع لغات العالم و هذا التعليل لوجود المفردات الأعجمية فى القرآن له وجاهة علمية .

ويرى آخرون : أن هذه المفردات المنسوبة إلى ألسنة أخرى عربية أصلا ، تلقاها أصحاب اللغات الأخرى من العرب ، و اختفت فى العربية زمناً ، ثم جاء القرآن جامعاً للشمل فاستعاد هذه المفردات إلى أصلها العربى .

هذا رأى نسبه السيوطى إلى سعيد بن جبير و وهب بن منبه (٢) .

و ذهب بعض المفسرين منهم القرطبى إلى أن هذه المفردات كانت أعجمية و لكن العرب أخذوها - أو استرقوها (٣) - فصاغوها فى صيغتهم ، و أجروا

(١) من الاسترقاق .

(٢) يقول السيوطى : إن زنجبيل كلمة فارسية ، ونسبها الراغب إلى الهند .

(٣) الاتقان : النوع ٣٨ .

عليها أحكام المفرد والجمع و التأنيث و التذكير فأصبحت عربية فى مبناها ولا يجوز ردها الآن إلى أصولها الأولى (١) .

وهناك رأى آخر شبيه بالرأى القائل عن توارد اللغات يتلخص فى أن اللغة العربية القديمة المتفرعة من اللغات السامية شقيقة للغات السامية الأخرى ، و من اللغات الشقيقات تجرى سنة الأخذ و العطاء ، و الاعارة و الاستعارة ، و هذه المجموعة من اللغات تشترك فى كثير من ملامحها اللغوية مثل وجود التثنية وجمع تكسير و أوزان الأسماء ماعدا وحدة المخارج الصوتية ، فلا غرو أن أخذ بعض اللغات السامية من بعضها الآخر (٢) .

يقول د . عبد الله الجبورى :

فهذه اللغة القديمة ما هى إلا من هذه اللغات السامية و هذا يجعل القول بعربية القرآن الكريم أى أنه عربى محض ، كما ورد عن أبى عرفة قوله : و إلا فليس فى القرآن غير العربية و وافقه على رأيه جمهور من العلماء الثقات المحققين أمثال الامام الشافعى حجة لغة العرب و أبى عبيدة و الباقلانى (٣) .

(١) المعترك : ١٧٦ .

(٢) نشؤ اللغة العربية و نحوها و اكتمالها : للأب مارى انستاس الكرملى ، طبع عام ١٩٣٨ . ص ٦١ .

(٣) مقدمة التذييل و التذنيب على نهاية الغريب للامام السيوطى ، طبع دار الرفاعى الرياض عام ١٩٨٢م ، ص ٧ ، إن تشديد الامام الشافعى على عربية القرآن ، الانكار على القائل بوجود مفردات غير عربية ، معلوم و مذكور فى هذه الكلمة ، أما سبب إنكاره و تشديده ليس أن هذه الكلمات من اللغة القديمة كما يراه الدكتور عبد الله الجبورى .

و يقول السيوطى :

فالأكثرون ومنهم الامام الشافعى وابن جرير و أبو عبيدة والقاضى أبو بكر و ابن فارس (يذهبون إلى) عدم وقوعه فيه لقوله تعالى : قرآناً عربياً (١) وقوله « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته ، أ أعجمى وعربى » (٢) و قد شدد الشافعى النكير على القائل بذلك (٣) .

و قال أبو عبيدة (٤) :

« إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين فمن زعم فيه غير العربية فقد أعظم القول و من زعم كذا بالنبطية فقد أكبر القول » (٥) .

و قال ابن فارس فى الصاحبى :

« لو كان فيه من لغة غير العرب شئ لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الاتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها » (٦) .

ونقل السيوطى قول الامام الشافعى رحمه الله فى الرسالة : لا يحيط باللغة إلا نبى ، وقال أبو المعالى عن ابن عبد الملك (٧) إنما وجدت هذه الألفاظ فى لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظاً ويجوز أن يكونوا سبقوا إلى هذه الألفاظ.

---

(١) يوسف : ٣ . (٢) فصلت : ٤٤ .

(٣) البرهان : ج ١ ٢٨٧ .

(٤) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى المتوفى سنة ٢١٠هـ صاحب مجاز القرآن ، ص ١ / ١٧ .

(٥) الصاحبى : ٣٠ و البرهان : ١ — ٢٨٨ .

(٦) السيوطى المصدر السابق .

(٧) هو ابن عطية فى مقدمة كتابه فى التفسير .

و يقصد الامام الشافعى رحمه الله بقوله « لا يحيط باللغة إلا نبى » إلى أن العربية أوسع اللغات و أكثرها ألفاظا و أغزرها تعبيراً ولا يحيط بجميع مفرداتها إنسان إلا إذا كان نبياً ملهما علمه الله الأسماء كلها ، فما الذى حمل الناس إلى نسب بعض المفردات إلى أصول أعجمية بينما لم يعرف أحد المفردات العربية كلها ، فهذه الألفاظ — المنسوبة خطأ إلى غير العربية — عربية فى مبناها و معناها و إن جهلها الجاهلون وغفل عن حقيقتها الغافلون .

وذهب آخرون إلى وقوع المفردات الأعجمية فى القرآن ، و أجابوا عن قوله تعالى « قرآناً عربياً » (١) بأن الكلمات اليسيرة غير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً ، فالقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظه فيها عربية و عن قوله : أ أعجمى و عربى « بأن المعنى من السياق : أكلام أعجمى و مخاطب عربى ؟ و استدلوا باتفاق النحاة على منع صرف نحو إبراهيم للعلمية و العجمة (٢) .

ورد هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محل خلاف ، فالكلام فى غيرها ، فوجه بأنه إذ اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع فى وقوع الأجناس .

ويستطرد السيوطى رحمه الله قائلا : و أقوى ما رأيته للوقوع — وهو اختيارى — ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبى ميسرة التابعى الجليل قال : القرآن فى كل لسان (٣) .

---

(١) يوسف : ٣ .

(٢) البرهان : — ١٥٦ ، « و معنى الآية لو أنزلنا القرآن بغير لغة العرب و جعلناه باللغة الأعجمية ، لقالوا : هلا بينت آياته بلساننا العربى لنفقهه ؟ (أعربى وعجمى ؟) أى رسول عربى و قرآن غير عربى .

(٣) السيوطى : المصدر السابق .

ولكن هذا القول ، و إن كان معزوا إلى تابعى جليل مردود عليه بالآيات الصريحة بأن الله جل وعلا لم ينزل كتابه إلا بلسان عربى مبين .

والطريقة الأدبية التى ساقها السيوطى : أن النبى ﷺ أرسل إلى كل أمة ، و قد قال تعالى « و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه (١) فلا بد من أن يكون الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم .

و هذا الكلام كما هو ظاهر ، لا يعدو أن يكون طريقة أدبية فانه ينقض كلام الله « وكذلك أوحينا اليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى و من حولها » (٢) فان لم يكن العرب تخاطبت بها ولا عرفتها استحال أن يخاطبهم الله بما لم يعرفوا ، و حينئذ لا يكون القرآن عربياً ، ولا يكون الرسول مخاطباً لقومه بلسانهم (٣) .

الترجيح — و الرأى للنقاش :

إذا تأملنا فى وجوه التأويلات التى أتى بها علماء التفسير وعلوم القرآن نجد أن الرأى القائل بتوارد اللغات رأى وجيه ، كذلك لا بأس بالرأى القائل أن هذه الألفاظ كانت غير عربية و لكن العرب لما تلقوها صاغوها فى قالب قواعدهم فأصبحت عربية .

ولكن هناك رأياً آخر أشار إليه السيوطى ولم ينسبه إلى أحد و اكتفى أن يقول : «وذهب آخرون بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً» .

و هذا هو أقوى الآراء حيث إنه مدعم بالدلائل العلمية ويشهد على صحته واقع اللغات العالمية ، ولا نحتاج معه إلى تأويلات بعيدة ، و لايضاح هذه النقطة بالذات أرانى فى حاجة إلى مقدمة و شرح :

(١) أيضاً . (٢) الشورى : ٧ .

(٣) القرطبى : ج ١ / ٦١٠ .

إن اللغة أصوات تتألف منها الكلمات التى يربطها نظام ، وشخصية اللغة تتعين بالصوت و التركيب ، و لكن الصوت خاضع لأسس تعم أكثر لغات الفصائل اللغوية ، فالأصوات المستعملة بالعربية هى أصوات أكثر اللغات السامية ، فاذا سمعنا صوت الحلق ح ، ع ، قلنا إن اللغة تنتمى إلى فصيلة اللغات العربية الشمالية من السامية ، ولكن لا نستطيع أن نجزم أنها هى العربية لاشتراك هذه الأصوات لغات أخرى من نفس الفصيلة ، أما التركيب وهو نظام وضع الكلمات فى بناء اللغة ، يساعد فى تغيير ملامح اللغة ، و النظام النحوى و أداة هذا النظام (مثل حروف الجر و الحروف الزوائد المشيرة إلى الجمع ، و حروف المضارع) يميز لغة دون أخرى من الملابسات ، فالنظام النحوى فى الواقع بمثابة الهيكل العظمى للانسان أو الهيئة الهندسية للدار ، إذا بقى الهيكل العظمى للانسان لن نخطئ فى تشخيص إنسان وتمييزه من الحيوان ، كذلك نستطيع أن نجزم برؤية الهيئة الهندسية للبيت أنه بيت لا جامع ، و اللغة نعرفها بنظامها النحوى ، بحروف جرها ، و بقواعد اشتقاقها لا بمفرداتها ، فان المفردات تدخل اللغة ، وهى المفردات — بمثابة الديكور الداخلى للبيت لا شأن له فى تشخيص ملامح البيت ، أو الغذاء بالنسبة للانسان . .

و على هذا إذا قلنا إن حافظاً و جامياً و سعدياً و فردوسياً كانوا حكماء الفرس و شعراء إيران و أن لغتهم كانت فارسية محضة لم نتجاوز الصدق مع الاعتراف بالواقع أنه من النادر أن نجد بيتاً واحداً من شعرهم يخلو من كلمة عربية و أكثر من هذا قد نجد بيتاً من شعرهم ليس فيه لفظ فارسى ، كله عربى ومع هذا لا يقال إنه قرض شعراً بالعربية .

يقول سعدى فى مدح الرسول عليه الصلاة و السلام :

شفيع الورى (خواجه) بعث ونشر إمام الهدى صدر ديوان حشر .

تجد فى هذا البيت كلمة واحدة (خواجه) فارسية (١) والكلمات الأخرى كلها عربية ولكنه لن يتوهم أحد أن الشعر خرج من نطاق اللغة الفارسية لأن التركيب الاضافى ، صدر ديوان حشر ، أبقاه على سجيته الفارسية و لنأخذ بيتاً آخر من نفس هذه القصيدة ، ليس فيها لفظ فارسى ولكن الشعر فارسى غير عربى .

شفيع مطاع — نبى كريم قسيم ، جسيم ، نسيم ، وسيم .

فتقديم الصفة على الموصوف و استعمال الصفات بدون حرف عطف ، و وصف إنسان بكلمة « نسيم » كلها تدل دلالة واضحة على أن الشعر لا يمت بالعربية بصلة ما .

ولنترك هنا البحث بالفارسية ، فانها لغة تأثرت بالعربية بحكم جوارها وتلاحم أهلها مع العرب و لنأخذ من الانجليزية مثلا يقول توماس Thomas Pyles فى كتابه مصدر اللغة الانجليزية و تطورها The Origin and Development of the English Language

« إن الانجليزية ثوب تقبل الرقعات من جميع اللغات (٢) .

ثم يذكر فهارس الكلمات المستعارة من لغات فصيلة الهند و أوربية ، منها اللاطينية و الفرنسية والروسية و الألمانية ، و بعد هذا يقول بالحرف الواحد But English Remains English

ولكن (رغم وجود المفردات غير الانجليزية) انجليزية تبقى انجليزية (٣) .

ويقول « لقد تغيرت الانجليزية بغيرها العصرية من عصر تشاوسر وكارد وليم

(١) تلفظ هذه الكلمة خاجا و فى حال الاضافة خاجة معناها ، السيد .

(٢) انظر الطبعة الثامنة عام ١٩٦٤م الفصل الحادى عشر
Foreign Elements In The English Word stock.

(٣) أيضاً

Chaucer & Cardwilliam بسبب التغيرات الطارئة فى نظام النحو (١) .

و إذا طرحنا جانباً الكلمات الدخيلة بالانجليزية من اللغات الأخرى واكتفينا ما أخذته الانجليزية من العربية نجد أن قائمة تلك الكلمات تتجاوز المئة .

وطائفة من مثل هذه الكلمات العربية التى دخلت الانجليزية الأميركية ذكرها الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله فى المجلد السابع عشر لمجلة دورية للابحاث اللغوية و نشاط الترجمة و التعريب « اللسان العربى » (٢) ولا حاجة إلى نقلها هنا .

و هذا هو واقع لغات العالم كلها ، و المطلع على سنن اللغات يكاد يجزم أنه لا توجد لغة فى العالم عاشت فى الماضى ، أو هى عائشة فى زمننا الحاضر تستطيع أن تبقى منعزلة عن الدنيا ، وتستغنى عن الأخذ و العطاء و لكن هذا الأخذ و العطاء لا يغيران ملامحها ولا ينكران شخصياتها .

و عندما نشير إلى لغة من لغات العالم ونسميها باسمها فاننا نقصد مجموعة للالفاظ الخاضعة للاصوات المميزة التى يتحكم فى مجموعها نظام التركيب النحوى الذى يشخص ملامحها .

و فى ضوء هذا أرى أن وجود مفردات أعجمية دخلت لغة القرآن الكريم عن طريق توارد اللغات ، ان يمس عروبة القرآن الكريم ، و القرآن صادق فى دعواه ، أنه عربى مبين ، و من أصدق من الله حديثاً .

(١) الفصل السادس . The Middle English Period

(٢) اللغة العربية و آثارها وراء المحيط الأطلنطيكى ، للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ص ٥ من الدورية عام ١٣٩٩هـ .

نظرات في كتاب المحدث الفاصل

بين الراوي والواعي للرامهرمزي

(١) نظرات في كتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي

الأستاذ أبو محفوظ الكريم معصومي

(٢) أستاذ في علوم القرآن والحديث في الجامعة العالمية بكلكتا (غربي البنغال)

ألف كتب الأنساب فقدمت على بعضها وخاصة العلماء نسبا قريش للمصعب ابن عبد الله الزبيري في صلب المقال لما دل دلالة حاسمة على وجود بنتا قرظة وقد سماهما فاختة و (كنود). فإن بعضها غير بعض وليس أحدهما اسما والآخر لقبا وإن كان مصعب أغفل الإشارة إلى الحاشى من أخبار ركوبهما ثبج البحر، وقول ابن أخيه الزبير بن بكار تقدم آنفا في ضمن عبارة من كتاب الإصابة ولم يتحدث هنا كتابه (جمهرة نسب قريش و أخبارها) كاملا، و عندى صورة فوتوغرافية هذه الجمهرة عن النسخة الوحيدة المخزونة في خزانة بودليانا بأكسفورد، لم تضمن هذا القسم المحتوى على أخبار بني نوفل بن عبد مناف و أنسابهم، فهذا الذى نقله الشيخ ابن حجر عن الزبير، له قيمة كبيرة، حيث إنه سماها (كنود بنت قرظة) وصرح بأن معاوية تزوج أختها بعد زواجه بها وهذا بناء على ما يستفاد من لفظه (ثم إن معاوية تزوج كنود بنت قرظة المذكورة ثم تزوج اختها) ولعله سمى اختها هذه (فاختة كدأب عمه فانه كثيراً ما يقتفى أثره، غير أن الشيخ ابن حجر آثر الانتقاء من سياقه على وجه الاختصار فلم يأت بما يضمن اسما حسب تسمية الزبير إياها، هذا و إنى قد مررت بذكر (كنود) في صورة نسخة الجمهرة للزبير عندى، عند سرده لخبر عتبة بن سهل حيث قال: فولد عتبة بن سهل (فاختة) ولدت لعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و أمها كنود بنت قرظة (جمهرة نسب قريش

للزبير: الورقة ١٩٠، ظ) وهذه التفقة وردت في سياق عمه مصعب (انظر نسب قريش: ص ٤٢٠) و لكن واردها فيه (عتبة) بمثناة من فوق قبل الموحدة، و الصواب (عنبة) بالنون دون المثناة من فوق، و الظاهر أن لفظ (فاختة بنت عنبة) سميت بإسم خالتها أى فاختة بنت قرظة.

أما ابن حزم فلم يذكر في جمهرة أنساب العرب إلا فاختة بنت قرظة وقد فاتته كنود فلم يعرفها قط (انظر جمهرة أنساب العرب ص ١١٦ الطبعة القاهرة (تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون) سنة ١٩٦٢م).

أما زمرة الأخباريين فهذا محمد بن حبيب من أقدمهم يقول في كتاب المحبر في عداد أبناء الحبشيات: قرظة بن عبد عمرو بن نوفل أبو فاختة بنت قرظة. (انظر المحبر (طبعة دكن الهند، ١٩٤٢ ص ٤٧٠) ثم إنه لم يعد إلى ذكر شيء عنه أو لا عن فاختة فضلا عن أن يذكر أختها (كنود) مع هذا قد أفادتنا هذه النبذة الموجزة بأن قرظة بن عمرو كانت أمه حبشية وأنها توفيت في الوقت نفسه على التعريف ببنته فاختة، أن أباها كان يكنى بها وأن ذهبت أختها (كنود) غفلا.

هذا ويحيى بن جابر البلاذرى جاء بتدوينه فقال في عد أمر قرظة، وهو يحدثنا عن تعاقبية نزوح فرع البحر من (عكا) وعلى مراكب كثيرة، وتحمل معه امرأته (فاختة) بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصى وحمل عبادة بن الصامت امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية وذلك في السنة ٢٨ بعد انحسار الشتاء، ويقال في سنة ٢٩ هـ. الخ (انظر فتوح البلدان (طبعة أوروبية M. J. de Goeje ليدن ١٨٦٦م) ص ٢٥٣ (طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢م ص ١٥٩) و إنما حمل الطراز على أنه كتب إلى عثمان في سنة ٢٧ يوصف عليه ركوب البحر المتوسط، قال البلاذرى: فكتب إليه عثمان: فإن ركبت البحر و معك امرأتك، فاركبه مأذونا له، و إلا فلا، سيتوضح كيف كان

البلاذرى فى تسميتها وقع فى غلط تاريخى ، مع مكانته المرموقة فى سرد أخبار الفتوح ، على أن الشيخ ابن حجر اعتمد قوله أكثر مما تدعو إليه الحاجة .

و أما أحمد بن أعثم الكوفى « ت حوالى سنة ٣١٤هـ / ٩٢٦م » فأورد فى أخبار فتح جزيرة قبرص أشياء لا يستهان بها ، لكنه لم يسم امرأة معاوية مع ذكره لمرافقتها له ، نعم سمى من رافقه من الصحابة ومنهم أبو الدرداء ، و عبادة ابن الصامت و شداد بن أوس و واثلة بن الأسقع و أبو أمامة الباهلى و عبد الله ابن بسر المازنى - رضوان الله عليهم أجمعين - مع ذلك فانه لم يذكر أم حرام بنت ملحان و لو إلى حد الاشارة كما فاته أن يسمى امرأة معاوية « انظر كتاب الفتوح لابن اعثم : ج ٢ ص ١١٧ - ١٢٤ » و لكن ورد عنده فى أثناء القصة ما لا يوجد عند غيره وهو بنصه : « فبينا القوم يسيرون فى البحر إذ هب الريح و هاج البحر فاضطرب بأمواجه و فرق المراكب يمنة ويسرة قال و فزعت امرأة معاوية فزعاً شديداً ثم صاحت بالنوتى وهو الملاح الذى يدبر أمر المركب، وكان من القبط و اسمه طليا و قالت : ويحك يا طليا ! احبس المركب - الخ » نفس المرجع : ج ٢ ص ١١٨ — ١١٩ .

و أما أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى « ت سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م » فألفيناه يزودنا فى « نساء معاوية و ولده » بما نص عليه قائلا : « ومنهن فاختة بنت قرظة ابن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، ولدت له عبد الرحمن و عبد الله ابنى معاوية - إلى أن قال - « ومنهن كتوة بنت قرظة، أخت فاختة، فغزا قبرس وهى معه ، فماتت هنالك » « انظر تاريخ الأمم والملوك : « ط ، لائيدن» ج ٢ ص ٢٠٥ ، و أيضاً « ط ، القاهرة ، ١٩٣٩ » ج ٤ ص ٢٤٣ » - فهذا ما يحصل به ثلج الصدور ، و قد سماها « كتوة » وجاء على هامش الطبعة الأوربية عن عدة نسخ لتاريخه ، « كشوة » ، كنوة ، كثرة ، « كثيرة » وكلها مصحفات و الصواب المختار ما ورد فى صلب النص أى « كتوة » .

ثم جاء ابن الأثير ، فتبعه فى « الكامل » بل انتشل نصه « انظر الكامل و النهاية « ج ٨ ص ١٤٤ « ذكر من تزوج من النساء » » فقد ذكر « فاختة » و أولاده منها إلى أن قال : وقد تزوج بأختها منفردة عنها، بعدها، وهى « كنوة » بنت قرظة و هى التى كانت معه حين افتتح قبرص » « انتهى » و هذه الفقرة من كلامه تحتاج إلى شئ من التنقيح وذلك أن قوله «بعدها» قد جاء خلاف الواقع على الظاهر ، و الصواب « قبلها » لأن « فاختة » عاشت مع معاوية بعدها إلى آخر عهده بالدنيا الفانية ، وفى نسخ كتابه « كنوة » بالنون كما ورد فى بعض نسخ الطبرى ، و إن هذا إلا من أغلاط النساخ .

و « الكتو » كما ورد فى الجمهرة لابن دريد ، مقاربة الخطو ، زعموا ، كتا يكتو كتوا عن أبى مالك « الجمهرة فى اللغة : ج ٢ ص ٢٨ » والظاهر أن اسمها مشتق من هذه المادة ، وجرت عادتهم فى التسمية أو التلقيب على الاعتبار بمناسبة المشية ، وقد عرفنا أن ليلى بنت حلوان زوج الياس بن مضر كانت تعرف بلقب « خندف » و الخندفة مشية الذى يقلب قدميه كأنه يخرف بهما « انظر الاشتقاق لابن دريد «ط . مصر ، ١٩٥٨ » ص ٤٢ ، و البكرى ، كتاب اللآلى « تحقيق الميمنى » ص — ٢٣٤ » .

ثم مما ينبغى الانتباه له ، أن هذه المادة (كتو) أغفلها ابن منظور وكثير ممن تقدمه ، و إنما ذكرها المجد فقال : و كتوة بالفتح اسم (انتهى) و هذه الفقرة ثبتت فى بعض نسخ القاموس المحيط دون بعض ، من هنا احتفظت بها طبعة (نول كشور) بالهند كدأب أختها الأول القديمة أعنى طبعة القاموس فى كلكتا، التى عنى بتحرير نصوصها الشيخ الأديب أحمد الشروانى (انظر القاموس

المحيط (طبعة كلكتا فى سنة ١٢٣٢هـ) ، - ص ١٩٣٩ - هذا ، واتفق على العثور على مخطوطة لترجمة القاموس باللغة الفارسية واسمها « قابوس » بالباء الموحدة مكان الميم وقد فرغ منها صاحبها « حبيب الله مدرس » فى شهر رمضان من سنة سبع و أربعين بعد الألف من الهجرة (١٠٤٧هـ) فى عصر السلطان ابى الخوافى محمد شاه بالهند ، والنسخة الخطية هذه كتبت فى اليوم السابع من جمادى الأخرى سنة تسع و عشرين و مأتين و ألف « سنة ١٢٢٩م » ، فهذه النسخة وردت فيها ترجمة هذه الفقره على ما مثاله : بفتح اسم است « قابوس » ، مخطوطة « الجزء الثانى الورقة ١١-٥٧١/ ظ س ٦ » ، والظاهر أن كلمة « كتوة » أسقطها الناسخ وإنما بقى تفسيرها بالفارسية « قابوس » الجزء الثانى ، برقم ٢٥٤ « ف » فى ذخيرة مخطوطات المدرسة الجلالية فى بوهار « مديرية بردوان » المكنوزة فى حوزة المكتب الملى بكلكتا ، و قال الشيخ عبد الرحيم الصفى بورى فى معجمه العربى ، الفارسى ، منتهى الأدب ٨٧ كتوة ، بالتاء ممنوعة ، نام مردى « منتهى الأدب » ط كلكتا ، ١٨٤٠م ، ج ٤ ، ص ٢٣١٠ ، وأيضاً ط ، لاهور ، سنة ١٩٠٧ م ، ج ٤ ص ١٢ ، يريد أنه لا اسم رجل ، والهاء للزيادة جامت ، فيما يظن لى على وجه الحدس فقط إذ مشى المجد على الاطلاق فلم يقيده قوله « وفيه كتوة » بالفتح اسم بشئ ما ، من هنا لا أرتضى ما ذهب إليه الصفى بورى رحمه الله .

أما نسخ القاموس المحيط التى اعتمدها السيد مرتضى البلجرامى الزبيدى فلعلها أسقطت هذه النبذة تماماً ، من هنا لا وجود لها فى تاج العروس ولا فى مستدركه (راجع تاج العروس ج ٢٠ ص ٣١٠) .

و لقائل أن يقول : أن اسمها (كتود) بالدال المهملة بدل التاء ، كما ورد عند مصعب فى نسب قريش ، و عند ابن أخيه الزبير بن بكار الزبيرى فى نسخة (الجمهرة نسب قريش و أخبارها) المقهدة بدقة الضبط فى نهاية الإتقان ، كما ورد عند الشيخ ابن حجر العسقلانى عن قولها ابن

توهب ، فلا يبعد إذن أن يكون هذا تصحف ل- (كتوة) فى نسخة تاريخ الأمم و الملوك للامم ، ولكن الجمع بينهما أحب إلى بأن يكون اسمها (كتود) و لقبها (كتوة) أو على العكس ، وهذا كما أن بنت خلوان فيما ذكرنا اسمها (اليد) و لقبها (خلدق) غير أن هذا الجمع حدائى عليه الحدس فقط ، والله أعلم .

مهما يكن فقد تحقق الآن إحدى الأختين التى عزت مع زوجها معاوية رضى الله عنه ، و هى (كتوة) أو (كتود) على اختلاف الرواة فى التسمية ، ليست هى (فاختة) و إن زعمها كذلك البلاذرى ، ثم ابن عبد البر القرطبى و تبعهما العسقلانى و العينى و القسطلانى ، و أن (كتوة بنت قرظة) قد تزوجها معاوية بعد عتبة بن سهل بن عمرو بن عبد شمس فولدت لمعاوية رملة بنت معاوية (انظر نسب قريش - ص ١٢٨ و ٢٤٠) ، لما ثبت هناك بقرائن كما صرح به الطبرى ، و الحافظ حجة على من لم يحفظ ، ثم إن معاوية رضى الله عنه تزوج بفاختة (فاختة بنت قرظة) و هى التى رافقته فى الحجة التى حجها و كانت معه فى مجلسه بالأبطح كما ساق القصة الرامهرمزى فى كتاب (المحدث الفاصل بين الراوى و الواعى) ثم ابن عبد البر فى كتابه (جامع بيان العلم و فضله) فهذا ما عن لى تحريره و الله يسر تبيينه فى الباب بعون الله و توفيقه و هذا هو الصواب فيما يبدو دون ما تقدم فى أصل المقالة .

ثم علمت أن (فاختة بنت قرظة) هذه إلى أنيف توفى عنها زوجها معاوية رضى الله عنه ، فقد ذكر المبرد فى (الكامل) : أنه قال لابنة قرظة ، إبكينى ، فقالت :

ألا ابكيه لا ابكيه ... ألا كل الفتى قرمه

(أنظر الكامل ، ط . القاهرة ، ١٣٦٥هـ ، ج ١ ص ٣١٩) و ابنة قرظة هذه على الظاهر ليست إلا فاختة بنت قرظة ولكنى لا أرى هذا الخبر إلا مكذوبا على سيدنا معاوية رضى الله عنه أو مدسوسا ، بالنظر إلى معنى الوصاية بالبكاء .

٣- ع ٨ ص ٥٦ - ٥٧ : كلامى على لفظ الحديث (أقروا الطير على مكناتها) يضاف إليه ما قرأت فى هذا الصدد عند ياقوت ، فى ترجمة الامام الشافعى، نقلا عن ابن خزيمة: قال سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : وتحدث ابن عيينة عن النبي ﷺ ، « و أقروا الطير على مكناتها » ، قال كان الشافعى إلى جنب ابن عيينة، فالتفت إليه سفيان فقال: يا أبا عبدالله ! ما معنى قول النبي ﷺ « و أقروا الطير على مكناتها » ، فقال الشافعى: إن علم العرب كان فى زجر الطير و الخط و الاعتياف ! كان أحدهم إذا غدا من منزله ، يريد أمراً ، نظر أول طير يراه ، فان سنح عن يساره فاجتاز عن يمينه ، قال هذا طير الأيامن ، فمضى فى حاجته و رأى أنه يستنجحها ، و إن سنح عن يمينه فمر عن يساره ، قال هذا طير الأشائم ، فرجع و قال هـذه حالة مشئومة ! فيشبه قول رسول الله ﷺ « و أقروا الطير على مكناتها » ، أى لا تهيجوها فان تهييجها و ما تعلمون به من الطيرة ، لا يصنع شيئاً و إنما يصنع فيما توجهون فيه ، قضاء الله عزوجل ، قال و كان سفيان يفسره بعد ذلك على ما قال الشافعى » ، (انظر إرشاد الاريب (معجم الأدباء) ط . دار المامون ، ج ٧ ص ٣٠٠ - ٣٠١) .

٤- ع ٨ ص ٥٩ - ٦٠ : مقطوعة ابن المبارك على حرف الظاء المعجمة، قد تكلمنا على البيت الرابع منها بالاشارة إلى الناحية اللغوية ولكن فاتنى إذ ذاك أن أشير إلى شق غير ما بينته من المحتملات اللغوية، وبيان ذلك أن البيت التالى:

لاظوا برب العرش لما أيقنوا أن الجنان لعصبة لواظ

لعله جاء على الاكفاء ، و لا غضاضة فيه من ابن المبارك لتقدمه عصرا ثم لقرضه الشعر على طريقة الزهاد من العلماء طبعـاً لا صناعة ، و معنى الاكفاء، كما هو معروف ، أن يؤتى بحرفين متقاربى المخرج فى القوافى مثل ذال وظاء معجمتين ، و من شواهد القتبى فى أدب الكاتب :

كأنها و العهد مذ أقياظ أس جراميز على وجاذ

و الشطران من أرجوزة ذالية قد أنشدها أبو عمرو الشيبانى فى نوادره (انظر أدب الكاتب ، ط. السلفية ، ص ٣٧٢: شرح أدب الكاتب للجواليقى: ص ٣٣٧ والاقتضاب للبطليوسى : ص ٢٣٥ - ٤١٦) فلعل هذا البيت قاله ابن المبارك على النمط التالى :

لاذوا برب العرش لما أيقنوا أن الجنان لعصبة لواذ

أى على ذال معجمة أولا و آخرا ، غير أن أصحاب الاستملاء لما وجدوه فى قطعة ظائية القوافى ، التبس عليهم الأمر ، حتى كتبوا الفاقية على مثال بقية القوافى السالفة بالظاء المعجمة ، و كذلك جروا على مزعمهم فى كتابة صدر البيت بالظاء المعجمة دون الذال المعجمـة فكتبوا لاظوا مكان (لاذوا) و لم يمعنوا النظر فيما ثبت فى كلام العرب .

و هذا فيما أراه ، أحسن الوجوه التى سبق لى الاشارة إليه بالتبيين ، و أما (لاظوا برب العرش) و (لعصبة لواظ) فلا يتجهان أبدا إلى الصواب إلا أن نتعسف بالقول أن (لاظ يلوظ) ينوب عن (لظ يلظ) أو عن (ألظ يلظ) بينما المعاجم اللغوية لا تساعدنا على هذا. فلا نتقيد بما وقع فى النسخ الخطية فى التصحيح بأى معنى من معانى الترجيح ، و أما ما ذهبنا إليه الآن فهو على ما فيه من التكلف أقرب إلى الواقع ، إذن يبدو لى أن الصواب ما ذهبت إليه أنهم صحفوا حيث زعموا الحرفين بالظاء المعجمة دون الذال المعجمة و إنما أوقعهم فى هذا الوهم الفاسد والزعم الكاسد أن مجئ البيت على الاكفاء ، لم يشعروا به ، والله أعلم .

هذا آخر الفصول مما رأيت إيراده فى هذه الذيول . و الله ربنا تعالى شأنه هو المسئول أن يوفقنا لما فيه من الصلاح و السداد و إليه المرجع والمعاد ، وصلى الله على عبده و رسوله محمد خاتم النبيين و على آله و صحبه أجمعين .

اقتصادنا فى ضوء الاســـلام :

التأمين فى الاقتصاد الاسلامى

-(الحلقة الرابعة)-

الأستاذ صدر الحسن الندوى

المطلب الثانى : عناصر التأمين

التأمين له أربعة عناصر و هى كالآتى :

١- الخطر :

الخطر عبارة عن حادث مستقبل محتمل الوقوع و معنى كونه حادثاً احتمالياً أنه قد يقع و قد لا يقع دون أن يتوقف وقوعه أو عدم وقوعـــه على إرادة أحد العاقدين ، بل ذلك يكون موكولا إلى القدر وحده ، كحريق المنزل و غرق البضاعة و موت المؤمن عـــلى حياته أو بقائه حيا إلى وقت معين . لأن وقوع الحريق وعدم وقوعه و وقوع غرق البضاعة و عدم وقوعه وبقاء الانسان حيا إلى وقت معين و عدم بقائه أمر احتمالى يمكن أن يحدث و يمكن أن لا يحـدث ، و موت الانسان و إن كان محقق الوقوع إلا أن زمن وقوعه غير محقق .

٢- القسط :

القسط هو المبلغ الذى يدفعه المؤمن له إلى المؤمن شهريا أو سنويا حسب الاتفاق مقابل تحمله للخطر ، و شركات التأمين تحدد قيمة القسط على أساس مبلغ التأمين المتفق عليه بحيث يزيد القسط بزيادة هذا المبلغ ، و ينقص بنقصه ، و هى من جهة أخرى تحدد قسط التأمين على أساس الخطر المؤمن منه ، بحيث

إذا زاد الخطر ارتفع القسط و بالعكس ، و هذا الأمر يشار إليه بمبدأ (نسبة القسط إلى الخطر) و يشمل القسط ما يوازى قيمة الخطر بالاضافة إلى الأمور التى تتكلفها الشركة من مصاريف الادارة و ربح الأسهم التى يتكون منها رأسمال هذه الشركات .

٣- مبلغ التأمين :

هو المبلغ الذى يتفق عليه المؤمن و المؤمن له ليكون أساساً للتعويض الذى يدفعه المؤمن إلى المؤمن له فى حالة حدوث الكارثة أو وقوع الخطر أو الحادث المؤمن منه ، فمبلغ التأمين يكون ديناً فى ذمة المؤمن ، تارة دينا احتماليا و تارة دينا مضافا إلى أجل غير معين ، فاذا كان الخطر المؤمن منـه غير محقق الوقوع كان مبلغ التأمين دينا احتماليا، وأما إذا كان هذا الخطر محقق الوقوع فى المستقبل و لكن زمن وقوعه غير محدد و غير معروف كان مبلغ التأمين دينا فى ذمـة المؤمن مضافاً إلى أجل غير معين .

يقول السنهورى :

فى التأمين على الحياة يكون الخطر المؤمن منه هو الموت و هو أمر محقق الوقوع لكن لا يعرف ميعاد وقوعه ، فيكون مبلغ التأمين دينا فى ذمة المؤمن مضافا إلى أجل غير معين ، و فى التأمين من الأضرار سواء كان تأمينا على الأشياء كالتأمين من الحريق ، أو كان تأمينا من المسئولية ، أمراً غير محقق الوقوع ، فيكون مبلغ التأمين دينا احتماليا فى ذمة المؤمن (١) .

٤- المصلحة :

المقصود بالمصلحة هنا أن يكون للمؤمن له أو للمستفيد مصلحة فى عدم وقوع

(١) الوسيط ٧/ ٢ : ١١٤٨ .

الخطر المؤمن منه ، ومن أجل هذه المصلحة أمن من هذا الخطر ، حتى إذا وقع و اصطدم وقوعه مع المصلحة فى عدم وقوعه، فلحق المؤمن له أو المستفيد ضرر من وراء ذلك ، رجع بتعويض هذا الضرر على شركة التأمين ، و هذه المصلحة لا توجد إلا فى التأمين من الأضرار أو التأمين على الأشخاص فى حالة التأمين على حياة الغير .

وسنبحث عن هذه النقاط بالتفصيل عند ما نبحث عن محل التأمين وسببه .

المطلب الثالث : خصائص عقد التأمين و أركانه :

خصائص عقد التأمين

العقود التى تبرم لابد أن توجد فيها خصائص ، لأن لكل شىء صفة معينة يتميز بها ذلك الشىء عن الشىء الآخر ، إن عقد التأمين له خصائص نبينها فى الفقرات التالية :

١— هو عقد تراض :

عقد التأمين عقد رضائى ينعقد بمجرد توافق الايجاب و القبول و وثيقة التأمين لا تشترك إلا لاثبات العقد ، و من ثم إذا قبل المؤمن الايجاب البات الموجه إليه من المؤمن له و وصل هذا القبول إلى عـلم المؤمن له ، تم عقد التأمين و صار ملزما لكل من الطرفين ، و لا ضرورة فى انعقاده بوثيقة تأمين يوقعها المؤمن ، بل يكفى أن يرسل المؤمن برقيـة أو كتابا لقبوله أو شفوياً عن طريق رسول يكون مثلا هو الوسيط ، فيصبح العقد تاما ملزما بمجرد وصول القبول إلى علم المؤمن له ، حتى قبل أن يدفع هذا الأخير القسط الأول من أقساط التأمين ويكون هذا القسط دينا فى ذمته يطالب به المؤمن بالطرق المقررة فى القانون ، و لكن إثبات عقد التأمين لا يكون إلا بالكتابة و تكون هذه الكتابة عادة وثيقة التأمين .

٢— هو عقد معاوضة :

لأن كلا من المتعاقدين يأخذ مقابلا لما أعطى . فالمؤمن يأخذ مقابلا هو أقساط التأمين التى يدفعها المؤمن له وكذلك المؤمن له يأخذ مقابلا لما يدفعه، هو مبلغ التأمين إذا وقعت الكارثة، وقد يبدو أن المؤمن له لا يأخذ مقابلا إذا لم تقع الحادثة إذ يكون المؤمن غير ملتزم بشىء نحوه ، و لكن الواقع أن المقابل الذى يأخذه المؤمن له فى نظير دفع أقساط التأمين ليس هو مبلغ التأمين بالذات فقط يأخذه و قد لا يأخذه ، و لكن المقابل هو تحمل المؤمن لتبعة الخطر المؤمن منه سواء تحقق الخطر أو لم يتحقق ، و تحمل المؤمن لهذه التبعة ثابت فى الحالتين .

٣— هو عقد احتمالى أو عقد غرر :

و معنى كونه عقدا احتماليا هو أنه فى العلاقة ما بين المؤمن و المؤمن له بالذات يكون احتماليا ، فالمؤمن له وقت إبرام العقد لا يعرف مقدار ما يأخذ و لا مقدار ما يعطى إذ أن ذلك متوقف على وقوع الكارثة أو عدم وقوعها ، فاذا لم تحدث الكارثة لا يأخذ المؤمن له شيئاً ، و إذا حدث بعد أن دفع المؤمن له قسطاً واحداً مثلا يأخذ المؤمن له مبلغ التأمين كله .

٤— هو عقد ملزم للجانبين :

المؤمن له ملتزم بدفع أقساط التأمين و المؤمن ملتزم بدفع مبلغ التأمين إذا وقعت الكارثة المؤمن منها ، و يلاحظ أن التزام المؤمن له بدفع أقساط التأمين التزام محقق ، ينفذ عادة على آجال معينة ، كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل سنـة أو نحو ذلك ، أما التزام المؤمن فهو التزام غير محقق ، إذ هو التزام احتمالى و ليس هو التزاما معلقا على شرط واقف هو تحقق الخطر المؤمن منه ، لأن تحقق الخطر ركن قانونى فى الالتزام و ليس مجرد شرط عارض .

٥- هو عقد زمنى :

لأنه يعقد لزمن معين ، و الزمن عنصر جوهرى فيه ، و يلتزم المؤمن لمدة معينة ، فيتحمل تبعة الخطر المؤمن منه ابتداء من تاريخ معين إلى نهاية تاريخ معين كذلك المؤمن له يلتزم للمدة يلتزم لها المؤمن ، و يوفى التزامه أقساط متتابعة على مدى هذه المدة ، و يجوز أن يوفيه دفعة واحدة و لكن يراعى فى تقدير هذه الدفعة الزمن المتعاقد عليه .

٦- هو عقد إذعان :

و عقد الاذعان هو العقد الذى يكون فيه أحد المتعاقدين مضطرا إلى أن يقبل الشروط التى وضعها الطرف الآخر دون مناقشة أو تبديل .

و اعتبار الاذعان إنما هو بالنظر إلى المؤمن لأنه الجانب الأقوى . فشركات التأمين تتمتع بمركز مالى قوى ، و فى إمكانها أن تقرر على المؤمن لهم من الشروط ما تراه محققا لمصالحها .

فمن المؤكد أن مركز المؤمن له لا يمكن أن يقارن بمركز شركة التأمين ، فهو يجد نفسه مكرها من حيث الشروط لدى شركة التأمين و لذا يكون مضطرا إلى التوقيع على وثيقة مطبوعة دون أية مناقشة لشروطها إذا أراد التأمين .

٧- هو عقد مدنى أو تجارى :

هو عقد مدنى بالنسبة للمؤمن له إلا إذا كان المؤمن له تاجرا و عقده بمناسبة تجارته ، فانه يكون تجارياً ، و هو تجارى بالنسبة لشركات التأمين المساهمة، و مدنى بالنسبة لشركات التأمين التعاونية أو بالاكتتاب .

« يتبع »

الحديث الضعيف

حكم روايته ، و شروط العمل ، و أثره السيئ فى الأمة

الأستاذ أبو سحبان روح القدس الندوى

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده .

أما بعد، فالحديث ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أوفعل أوتقرير أوصفة.

« و الحديث عند أهله ينقسم إلى صحيح و حسن و ضعيف » (١) « لأنه إما مقبول أو مردود ، و المقبول إما أن يشتمل من صفات القبول على أعلاها أو لا ، و الأول الصحيح و الثانى الحسن ، و المردود لا حاجة إلى تقسيمه ، لأنه لا ترجيح بين أفراده » (٢) .

« أما الحديث الصحيح فهو الحديث المسند (٣) الذى يتصل إسناده (٤)

(١) ابن الصلاح : مقدمته فى علوم الحديث ص : ٧ .

(٢) السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ١/ ٦٢ .

(٣) المسند : عند أهل الحديث هو الذى اتصل إسناده من راويه إلى منتهاه ، و أكثر ما يستعمل ذلك فيما جاء عن رسول الله ﷺ دون ما جاء عن الصحابة و غيرهم ، قاله الخطيب البغدادى كما فى (مقدمة ابن الصلاح ص : ٢١) .

(٤) و الاسناد : هو الطريق الموصلة إلى المتن هو غاية ما ينتهى إليه الاسناد من الكلام (نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر العسقلانى ص : ١١ و ١١٧) .

بنقل العدل (١) الضابط (٢) عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذا (٣) و لا معللا (٤) (٥) .

أما الحديث الحسن فقد اختلفت أقوال العلماء فى تعريفه .

قال الخطابى : « هو ما عرف مخرجه ، و اشتهر رجاله ، و عليه مدار أكثر الحديث و هو الذى يقبله أكثر العلماء ، و يستعمله عامة الفقهاء (٦) .

قال الترمذى : « كل حديث يروى لا يكون فى إسناده من يتهم بالكذب و لا يكون الحديث شاذا ، و يروى من غير وجه نحو ذلك فهو عندنا حديث

(١) و المراد بالعدل : من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى ، و المروءة ، و المراد بالتقوى : اجتناب الأعمال السيئة من شرك ، أو فسق ، أو بدعة (نزهة النظر ص : ٣٩) .

(٢) الضبط : ضبطان ، ضبط صدر : وهو أن يثبت ما سمعه ، بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء ، و ضبط كتاب : و هو صيانته لديه منذ سمع فيه و صححه إلى أن يؤديه منه (نفس المصدر ص : ٣٩) .

(٣) والشاذ لغة : الفرد ، و اصطلاحا : ما يخالف فيه الراوى من هو أرجح منه (نفس المصدر : ٣٩) يعنى مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه .

(٤) المعلل لغة : ما فيه علة ، و اصطلاحا : ما فيه علة خفية قادحة (نفس المصدر : ٣٩) وعلة الحديث : سبب غامض خفى قادح فى الحديث ، مع أن الظاهر السلامة منه » (الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لأحمد محمد شاكر ص : ٦٥) .

(٥) مقدمة ابن الصلاح ص : ٧ .

(٦) معالم السنن ١/ ٦ .

حسن » (١) .

قال الحافظ ابن حجر : « و خبر الآحاد بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معلل و لا شاذ هو الصحيح لذاته » (٢) « فان خف الضبط فالحسن لذاته » (٣) .

« يمكن أن يعرف الحسن بناء على ما عرفه به ابن حجر بما يلى :

هو ما اتصل سنده بنقل العدل الذى خف ضبطه عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ و لا علة » (٤) .

حكم الحديث الحسن : « كالصحيح فى الاحتجاج به و إن كان دونه فى القوة » (٥) .

أما الحديث الضعيف فهو : كل حديث لم يجتمع فيه صفات الحديث الصحيح و لا صفات الحديث الحسن » (٦) ،

حكم رواية الحديث الضعيف ، و العمل به و موقف العلماء من ذلك :

قال ابن الصلاح : « اعلم أن الحديث الموضوع شر الأحاديث الضعيفة ولا يحل روايته لأحد علم حاله فى أى معنى كان إلا مقرونا ببيان وضعه بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التى يحتمل صدقها فى الباطل حيث جاز روايتها فى

(١) جامع الترمذى مع شرحه تحفة الأحوذى ١٠/ ٥١٩ .

(٢) نزهة النظر ص ٣٧ .

(٣) نفس المصدر ص : ٥٠ .

(٤) الدكتور محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ص : ٤٥ .

(٥) النووى : التقريب مع شرحه تدريب الراوى ١/ ١٦٠ .

(٦) مقدمة ابن الصلاح ص : ٢٠ .

الترغيب و الترهيب » (١) .

و قال : « يجوز عند أهل الحديث و غيرهم التساهل فى الأسانيد ، و رواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله و أحكام الشريعة من الحلال و الحرام و غيرهما ، و ذلك كالمواعظ ، و القصص ، و فضائل الأعمال ، و سائر فنون الترغيب و الترهيب ، و سائر ما لا تعلق له بالأحكام و العقائد » (٢) .

قال الخطيب البغدادى : قد ورد عن غير واحد من السلف أنه لا يجوز حمل الأحاديث المتعلقة بالتحليل و التحريم إلا عمن كان بريئاً من التهمة بعيدا من الظنة ، و أما أحاديث الترغيب و المواعظ و نحو ذلك فانه يجوز كتبها عن سائر المشايخ » (٣) .

قال العراقى : « أما غير الموضوع فجوزوا التساهل فى إسناده و روايته من غير بيان ضعفه إذا كان فى غير الأحكام و العقائد ، بل فى الترغيب و الترهيب من المواعظ و القصص و فضائل الأعمال و نحوها ، أما إذا كان فى الأحكام الشرعية من الحلال و الحرام و غيرهما ، أو فى العقائد كصفات الله تعالى و ما يجوز و يستحيل عليه ، و نحو ذلك ، فلم يروا التساهل فى ذلك ، و ممن نص على ذلك من الأئمة : عبد الرحمن بن مهدى ، و أحمد بن حنبل ، و عبد الله ابن المبارك و غيرهم » (٤) .

(١) نفس المصدر ص : ٤٧ . (٢) نفس المصدر ص : ٤٩ .

(٣) الكفاية فى علم الرواية ص : ١٣٣ .

(٤) شرح ألفية الحديث ٢ / ٢٩١ نقلا عن التعليقات الحاملة على الأجوبة الفاضلة (ص ٣٩) للشيخ عبد الفتاح أبو غدة .

قال النووى : « اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال » (١) .

و قال : « قال العلماء من المحدثين و الفقهاء و غيرهم : يجوز و يستحب العمل فى الفضائل و الترغيب و الترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعاً ، و أما الأحكام كالحلال و الحرام و البيع و النكاح و الطلاق و غير ذلك فلا يعمل فيها إلا بالحديث الصحيح أو الحسن إلا أن يكون فى احتياط فى شىء من ذلك ، كما إذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع أو الأنكحة ، فان المستحب أن يتنزه عنه ، و لكن لا يجب » (٢) .

و قال أيضاً : « يجوز عند أهل الحديث و غيرهم التساهل فى الأسانيد ، و رواية ما سوى الموضوع من الضعيف و العمل به من غير بيان ضعفه فى غير صفات الله تعالى و الأحكام كالحلال و الحرام و نحو ذلك و الأحكام » (٣) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : « لا يجوز أن يعتمد فى الشريعة على الأحاديث الضعيفة التى ليست صحيحة و لا حسنة ، لكن أحمد حنبل و غيره من العلماء جوزوا أن يروى فى فضائل الأعمال ما لم يعلم أنه ثابت إذا لم يعلم أنه كذب ، و ذلك أن العمل إذا علم أنه مشروع بدليل شرعى و روى فى فضله حديث لا يعلم أنه كذب جاز أن يكون الثواب حقاً ، و لم يقل أحد من الأئمة أنه يجوز أن يجعل الشىء واجباً أو مستحباً بحديث ضعيف ، و من قال هذا فقد خالف الاجماع .

(١) الأربعين النووية مع مجموعة الحديث ص : ٤ .

(٢) الأذكار النووية ص : ٥ . (٣) التقريب ١/ ٢٩٨ .

و هـــذا كما أنه لا يجوز أن يحرم شيء إلا بدليل شرعي ، لكن إذا علم تحريمه و روى حديث فى وعيد الفاعل له و لم يعلم أنه كذب جاز أن يرويه ، و يجوز أن يروى فى الترغيب و الترهيب ما لم يعلم أنه كذب ، و لكن فيما علم أن الله رغب فيه أو رهب منه بدليل آخر غير هذا الحديث المجهول حاله » (١).

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى : « لسنا نرى التساهل فى رواية شيء من الأحاديث الضعيفة دون بيان ضعفها ، ولا فرق عندنا فى ذلك بين أحاديث الأحكام ، و أحاديث الفضائل ، إذا الكل شرع » (٢) .

قال أبو الحسنات محمد عبد الحى اللكنوى : « ليعلم أن الأحكام و غير الأحكام ، و إن كان متساوية الأقدام فى الاحتياج إلى السند — و ما خلا عن السند فهو غير معتمـــد — إلا أن بينهما فرقا من حيث إنه يشـــدد فى أخبار الأحكام من الحلال و الحرام ، و فى غيرها يقبل الاسناد الضيف بشروط صرح بها الأعلام » (٣) .

و قال رحمه الله : « فالحق فى هذا المقام : أنه إذا لم يثبت ندب شيء أو جوازه بخصوصه بحـديث صحيح ، و ورد بذلك حديث ضعيف ليس شديد الضعف ، يثبت استحبابه و جوازه به ، بشرط أن يكون منـــدرجا تحت أصل شرعي ، و لا يكون مناقضا للاصول الشرعية و الأدلة الصحيحة » (٤) .

المذاهب فى الأخذ بالحديث الضعيف و اعتماد العمل به فى الفضائل :

(١) قاعدة جليلة فى التوسل و الوسيلة ص : ٨٢ .

(٢) مقدمة « الكلم الطيب » لابن تيمية ص : ١٤ .

(٣) الأجوبة الفاضلة للاسئلة العشرة الكاملة ص : ٣٦ .

(٤) نفس المصدر ص : ٥٥ .

« ليعلم أن المذاهب فى الضعيف ثلاثة » :

الأول : لا يعمل به مطلقا ، لافى الأحكام ولافى الفضائل ، حكاه ابن سيد الناس فى عيون الأثر ، عن يحى بن معين ، و نسبه فى فتح المغيث لأبى بكر بن العربى ، والظاهر أن مذهب البخارى ومسلم ذلك أيضاً ، يدل عليه شرط البخارى فى صحيحه ، وتشنيع الامام مسلم على رواة الضعيف ، وعدم إخراجهما فى صحيحيهما شيئاً منه ، و هذا مذهب ابن حزم رحمه الله أيضاً حيث قال فى الملل و النحل : « ما نقله أهل المشرق و المغرب ، أو كافة عن كافة ، أو ثقة عن ثقـــة ، حتى يبلغ إلى النبي ﷺ ، إلا أن فى الطريق رجلا مجروحا بكذب أو غفلة ، أو مجهول الحال ، فهذا يقول به بعض المسلمين ، و لا يحل عندنا القول به و لا تصديقه و لا الأخذ بشيء منه » اهـ .

الثانى : أنه يعمل به مطلقا ، قال السيوطى : « وعزى ذلك إلى أبى داؤد ، و أحمد لأنهما يريان ذلك أقوى من رأى الرجال » .

الثالث : يعمل به فى الفضائل بشروطه وهذا هو المعتمد عند الأئمة » (١).

شروط العمل بالحديث الضعيف :

قال السخاوى : و قد سمعت شيخنا ابن حجر العسقلانى المصرى — مرارا يقول ، و كتبه لى بخطه أن شرائط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة :

الاول : متفق عليه ، و هو أن يكون الضعف غير شديد ، فيخرج من انفرد من الكذابين و المتهمين بالكذب و من فحش غلطه .

و الثانى : أن يكون مندرجا تحت أصل عام ، فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلا .

(١) محمد جمال الدين القاسمى الدمشقى : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ص : ١١٣ .

و الثالث : أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته ، لئلا ينسب إلى النبي ﷺ مالم يقله ، قال : و الأخيران عن ابن عبد السلام وعن صاحبه ابن دقيق العيد ، و الأول نقل العلائى الاتفاق عليه » (١) .

هذا . و من أراد التفصيل فى حكم رواية الحديث الضعيف ، و العمل به ، و آراء العلماء و الأئمة فى ذلك فليرجع إلى « ظفر الأمانى بشرح مختصر الجرجانى » (٢) « و الأجوبة الفاضلة للاسئلة العشرة الكاملة » كلاهما لأبى الحسنات محمد عبد الحى اللكنوى رحمه الله ، « وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث » لمحمد جمال الدين القاسمى الدمشقى ، و « لمحات فى أصول الحديث » للدكتور محمد أديب الصالح و « فتح المغيث شرح ألفية الحديث » للسخاوى .

أثر الحديث الضعيف السئ فى الأمة :

« من المصائب العظمى التى نزلت بالمسلمين منذ العصور الأولى ، انتشار الأحاديث الضعيفة الموضوعة بينهم ، لا أستثنى أحدا منهم و لو كانوا علماءهم ، إلا من شاء الله منهم من أئمة الحديث و نقادهم كالبخارى و أحمد و ابن معين و أبى حاتم الرازى و غيرهم ، و قد أدى انتشارها إلى مفاسد كثيرة منها ما هو من الأمور الاعتقادية الغيبية ، و منها ما هو من الأمور التشريعية » (٣) .

---

(١) السخاوى : القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع ص : ١٩٥ .

(٢) و قد طبع هذا الكتاب فى الهند قديما من غير تحقيق ، جزى الله خيرا فضيلة الشيخ ضياء الحسن الندوى حفظه الله أستاذ الحديث و رئيس قسمه بجامعة ندوة العلماء حيث قام بتحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه يسر الله طبعه فى أقرب فرصة .

(٣) محمد ناصر الدين الألبانى : « سلسلة الأحاديث الضعيفة » ص : ٨ الوضع فى الحديث و المؤلفات فى الموضوعات :

« كلما بعد الزمن عن قرون الخير و السعادة و العلم ذهب العلم بذهاب علمائه انتشرت هذه الأحاديث الضعيفة و الموضوعة بشكل غريب و مدهش ، فلا تجد مؤلفاً و لا خطيباً إلا و عنده رصيد من هذه الضعاف و الموضوعات ، أما عامة الناس فعندهم بلايا و طامات ، و حدث و لا حرج ، و زاد الطين بلة فشو الاعتقاد عند بعض الناس بأن الحديث الضعيف يعمل به فى الترغيب و الترهيب ، فاشتغل الناس بالاحتجاج بهذه الأحاديث الضعيفة و الموضوعة على أساس هذه القاعدة بغض النظر عن شروط المحققين من أهل العلم فى قولهم أنه يعمل بالحديث الضعيف فى الفضائل و الترغيب و الترهيب ، و أدى هذا التصرف كثيرا من المؤلفين و الخطباء و الوعاظ إلى حشر الموضوعات و المناكير والضعاف فى مؤلفاتهم و خطبهم » (١) .

وأضرب لكم مثالا لذلك ، يقول الشيخ عبد الفتاح أبوغدة حفظه الله وهو يتحدث عن كتب أبى حامد الغزالى لاسيما كتابه « الاحياء » فيقول :

« تجد كتبه طافحة بالحديث الضعيف و الموضوع ، و بخاصة كتابه « الاحياء » فقد شاع فيه الحديث الضعيف و الموضوع فى أكثر أبوابه ، و لعل عذره فى ذلك أنه اعتمد فيه على كتاب « قوت القلوب » لأبى طالب المكى ، وساق تلك الأحاديث التى ساقها : و من أجل هذا نهض العلماء المحدثون النقاد بتخريج أحاديثه وبيانها ، وتحذيراً من الاغترار بما فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة اعتمادا على مكانة الشيخ أبى حامد مصنفه رحمه الله » (٣) .

---

(١) مقال قيم لزميلنا الفاضل الشيخ عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائى نشرته مجلة الجامعة السلفية فى عددها الثانى للمجلد السابع عشر جمادى الأولى ١٤٠٥هـ .

(٢) التعليقات الحافلة على الأجوبة الفاضلة : ص : ١١٨ .

« و من المصائب التى ابتلى المسلمون بها فى الآونة الأخيرة اشتغال أناس بالدعوة الاسلامية لم يكن عندهم رصيد من العلم الصحيح : على الكتاب و السنة الصحيحة ، فحشروا فى مؤلفاتهم من الأباطيل و المناكير ما لا عد له ولا حصر ، و قد استدلوا بها فى أمور الشريعة ، و أتوا بالأعاجيب .

و كان من آثار انتشار هذه الأحاديث الضعيفة و الموضوعة فى صفوف المسلمين وقوع أمة التوحيد فى أصناف من الشرك و البدع و الخرافات و اعتقادها بالعقائد السخيفة الفاسدة ، و آدى هذا كله إلى التفريق بين كلمة المسلمين » (١).

و من آثار انتشار هذه الأحاديث الضعيفة تشتت شمل المسلمين ، و تمزق جمعهم ، و تخاذل بعضهم عن بعض ، و افتراقهم على قطعات و أحزاب ، وبالتالى ذهاب ريحهم و شوكتهم .

و منها تشويه صورة الاسلام النقية التى ليلها كنهارها ، فعلق بها ما علق من الافراط و التفريط ، و النقص و الزيادة ، فأدخل فى دين الله ما ليس منه من محدثات الأمور التى ما أنزل الله بها من سلطان .

« و قد ساعد على سعة انتشارها فى هذا العصر ما خلقه الله تبارك و تعالى فيه من الوسائل الحديثة كالاذاعات و الجرائد و المجلات و غيرها مما تصدرها المطابع ، الأمر الذى يوجب على العلماء الغيورين على السنة المحمدية أن يبذلوا جهدهم فى التحقق من الأحاديث لدى كتابتهم و إذاعتهم و حديثهم » (٢) .

(١) الوضع فى الحديث و المؤلفات فى الموضوعات : مجلة الجامعة السلفية .

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة : ص ٥ .

عبد الله بن رواحة الأنصارى

و شعره الاسلامى

— ٢ —

سعيد الأعظمى الندوى

ابن رواحة يرد على هبيرة بن أبى وهب :

كان هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم شاعراً قرشياً شديد العداوة لله ولرسوله ، التى تجلت فى قصيدته التى قالها يوم أحد ، وبدأها بقوله :

ما بال هم عميـــد بات يطرقنى ... بالود من هند إذ تعدو عواديها

تعرض فيها المسلمين بالتعيير و الاهانة وسخر منهم ، و افتخر بشجاعة قومه ، و بمكانتهم العالية و مجدهم التليد ، يقول مثلا .

نحن الفوارس يوم الجر (١) من أحد ... هابت معد فقلنا نحن نأتيها

ثمت رحنا كأنا عارض برد ... و قام هام بنى النجار يبكيها

كأن هامهم عند الوغى قلق ... من قيض ربد (٢) نفته عن أداحيها

أو حنظل دغدغته الريح فى غصن ... بال تعاوره منها سوافيها (٣)

حتى أكملها بثلاثة و عشرين بيتاً ، فتصدى له حسان بن ثابت و رد عليه بشعر مثله ، ونهض كعب بن مالك يرد عليه بقصيدة عينية قوية و طويلة احتوت على ٤٨ بيتاً من الشعر الجيد القوى الرصين ، بدأها بقوله :

(١) الجر : أصل الجبل . (٢) القيض : قشر البيض الأعلى ، و الربد : المراد بها النعام ، أداحى جمع أدحى المكان الذى تبيض فيه النعام .

(٣) السوافى جمع سافية ، الريح التى تقلع التراب و الرمل من الأرض .

ألا هل أتى غسان عنا و دونهم من الأرض خرق سيره متتعنع (١)

وجاء فى غضون أبيات هذه القصيدة بيتان هما لعبدالله بن رواحة كما تشير إليه روايات تاريخية ذكرها بعض المؤرخين و اللغويين و قد تحقق لدى النقاد أن شعر عبد الله بن رواحة قد اختلط كثيراً بشعر كعب بن مالك ، نظراً إلى قلة شعره ، ثم انشغاله بالغزوات و انصرافه عن القريض ، و قد رد بذينك البيتين على هبيرة بن أبي وهب ولكنهما انضما إلى أبيات كعب بن مالك لأسباب أدبية منها :

١- لأنهما مماثلان أبيات كعب بن مالك فى الرديف و القافية .

٢- لأنهما لم ينالا مكانا متفرداً بازاء القصائد الطويلة و الأبيات الكثيرة التى فاضت بها قرائح الشعراء المسلمين فى هذه المناسبة ، ولعل عبد الله بن رواحة قال هذين البيتين ثم شغل عنهما باهتماماته الدينية الأخرى ، و هما كالآتى :

فسرنا إليهم جهرة فى رحالهم ضحيا علينا البيض لا نتخشع

فجئتا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع (٢)

و يرثى نافع بن بديل : لما بعث رسول ﷺ أصحاب بئر معونة فى شهر صفر على رأس أربعة أشهر من أحد ، كان من ضمن من غدر بهم عامر بن الطفيل ، نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى ، فرثاه عبد الله بن رواحة ببيتين من الشعر و قال :

رحم الله نافع بن بديل رحمة المبتغى ثواب الجهاد

صابر صادق وفى إذا ما أكثر القوم قال قول السداد (٣)

(١) الخرق ، الفلاة الواسعة التى تخرق الأرض فيها الرياح ، متتعنع : مضطرب .
(٢) أحابيش بمعنى الجماعات التى تتجمع من القبائل .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ / ص ١٩٨ .

شعره فى مناسبة إجلاء بنى النضير : تم إجلاء بنى النضير من المدينة و قتل كعب بن الاشرف اليهودى فى سنة أربع ، وكان فى هذه المناسبة تبادل شعر بين المسلمين و اليهود ، و من خلال ذلك ما قاله عباس بن مرداس السلمى يمدح رجال بنى النضير الذين تم إجلاؤهم من المدينة ، بدأه بقوله :

لو أن أهل الدار لم يتصدعوا رأيت خلال الدار ملهى وملعبا

فأجابة خوات بن جبير أخو بنى عمرو بن عوف بأبيات مماثلة ، أولها :

تبكى على قتلى يهود و قد ترى من الشجو لو تبكى أحب وأقربا

فرد عليه عباس بن مرادس السلمى بأبيات من الشعر فقال :

هجوت صريح الكاهنين و فيكم لهم نعم كانت من الدهر ترتبا (١)

إلى أن قال :

فانك لو لاقيتهم فى ديارهم لألفيت عما قد تقول منكبا

سراع إلى العليا كرام لدى الوغى يقال لباغى الخير أهلا و مرحبا

فأجابه عبد الله بن رواحة بأبيات مماثلة لها فى الرديف و القافية يقول :

لعمرى لقد حكمت رحى الحرب بعدما أطارت لويا قبل شرقا و مغربا

بقية آل الكاهنين و عزها فعاد ذليلا بعد ما كان أغلبا (٢)

فطاح سلام و ابن سعية عنوة وقيد ذليلا للمنايا ابن أخطبا (٣)

(١) الصريح ، يريد به خالص النسب ، و الكاهنان قبيلتان من يهود المدينة و يزعمون أنهم من ولد هارون عليه السلام ، ترتب ، بمعنى ثابت .
(٢) الأغلب ، الغليظ الرقبة ، الشديد القوة .
(٣) طاح بمعنى هلك ، العنوة : القهر والذلة ، يشير إلى سلام بن أبى الحقيق و ابن اخطب بن سعية وحيي بن اخطب ، و كلهم كانوا من أشد أعداء رسول الله ﷺ فى اليهود .

و أجلب يبغى العز و الذل يبتغى ... خلاف يديه ماجنى حين أجلبا (١)
كتارك سهل الأرض والحزن همه ... وقد كان ذا فى الناس أكدى وأصعبا (٢)
وشاس و عزال و قد صليا بها ... و ما غيبا عن ذلك فيمن تغيبا (٣)
وعوف بن سلمى وابن عوف كلاهما ... وكعب رئيس القوم حان وخيبا (٤)
فبعداً وسحقا للنضير و مثلها ... إن أعقب فتح أو إن الله أعقبا (٥)

ابن رواحة فى غزوة بدر الآخرة :

خرج رسول الله ﷺ فى شعبان سنة أربع إلى بدر حيث أقام ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان لوعده الذى كان قد نادى به حين انصرافه عن أحد وقال « موعد بيننا و بينكم بدر الصفراء رأس الحول نلتقى فيه فنقتتل » ، وخرج أبو سفيان تحقيقاً لوعده ووصل إلى مجنة من ناحية الظهران ثم بدا له فى الرجوع ، و كان رسول الله ﷺ مقيماً ينتظر أبا سفيان إذ مر به معبد بن أبى معبد الخزاعى و قد رأى مكان رسول الله ﷺ ، و ناقته تهوى به فانطلق سريعاً إلى مكة و قال :

قد نفرت من رفقتى محمد ... و عجوة من يثرب كالعنجد
تهوى على دين أبيها الأتلد ... قد جعلت ماء قديد موعدى
و ماء سجنان لها ضحى الغد

(١) أجلب إذا كان بالجيم فهو بمعنى جمع وصاح ، و إذا كان بالحاء المهملة فمعناه أيضاً جمع ، و لكن بدون صياح .
(٢) الحزن ، الأرض الغليظة العالية ، أكدى : بمعنى خاب فى سعيه ، يقال : أكدى الرجل فى سعيه ، إذا لم ينجح .
(٣) شاس ، اسم ابن قيس اليهودى من يهود بنى قينقاع ، عزال ، اسم ابن سموأل اليهودى و هو من بنى قينقاع أيضاً ، صليا ، بمعنى دخلا نار الحرب .
(٤) حان بمعنى هلك .
(٥) فبعداً وسحقاً : دعاء عليهم ، أو إن الله أعقبا ، يعنى أن الله جاء بالنصر عليهم .

ابن رواحة يقول الشعر :

فقال عبد الله بن رواحة شعراً يوجه فيه اللوم و العار إلى أبى سفيان على ما ظهر منه من الجبن و الفرار من لقاء رسول الله ﷺ :

وعدنا أبا سفيان بدراً فلم نجد ... لميعاده صدقا و ما كان وافيا
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا ... لأبت ذميماً وافتقدت المواليا
تركنا به أوصال عتبة وابنه ... و عمراً أباجهل تركناه ثاويا
عصيتم رسول الله أف لدينكم ... و أمركم السيئ الذى كان غاويا
و إنى و إن عنفتمونى لقائل ... فدى لرسول الله أهلى و ماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره ... شهابا لنا فى ظلمة الليل هاديا (١)

رجزه فى غزوة الخندق :

ولعبد الله بن رواحة رجز مثير أثناء حفر الخندق ، حينما كان المسلمون و رسول الله ﷺ معهم ، يحفرون الخندق ، وينقلون التراب :

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا ... و لا تصدقنا و لا صلينا
إن الألى قد بغوا علينا ... و إن أرادوا فتنة أبينا
فانزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

و يزاد فيه فى بعض الروايات :

إنا إذا صيح بنا أتينا ... و بالصياح عولوا علينا
فأغفر فداء لك ما اقتفينا ... و نحن عن فضلك ما استغنينا

و يروى له بعض الرجز فى هذه المناسبة :

هذا الحمال لا حمال خيبر ... هذا أبر ربنا و أطهر
اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... فارحم الأنصار و المهاجرة

و يروى غير ذلك أيضاً فى مناسبة حفر الخندق « يتبع »

(١) لقد مر بيان هذا الشعر فى الحديث عن الغزوات التى شاركها عبد الله بن رواحة ، وخاصة فى ذكر غزوة بدر الآخرة ص ٨٥ من العدد ٧ ج ٣١ .

(بقية المنشور من الافتتاحية على ص ٨)

مصالح الأمة و مسئوليات البلاد و العباد ، و إطباق العين عن حقيقة هذه الحياة و ما وراءها من حياة يواجه فيها الانسان كل أعماله و ممارساته الدنيوية ، بحساب دقيق و جزاء عادل ، ذلك هو العامل الرئيسى فى توافر الأوضاع القاسية والشقاء العام فى المجتمعات الانسانية اليوم ، وفيما افتقدته الحياة البشرية من قيمتها و أهميتها فى جميع الأوساط والقطاعات ، وفيما يعيشه الانسان من ظروف العداء و الشحناء و القلق والاضطراب وعدم التوازن والاستقرار وفقدان الأمن على الأموال والأرواح ، و على جميع مرافق الحياة و مؤسسات المجتمع .

ولكن عودة الحياة إلى الحالة الطبيعية تكلف العودة إلى إدراك السر الذى أودعه الله سبحانه فى الانسان ، و مدى أهمية العلاقة المتينة اللازمة بينه و بين الله تعالى .

« ألم يك نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر و الأنثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » .

« كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى ، إن إلى ربك الرجعى »

وفور ما يتبين الانسان سر الحياة وحقيقة الرجعى إلى ربه يعود إلى الرشد ، و يتولى إنهاء الحالة الشاذة و الالتزام بالجادة السليمة ونشر الأمن والهدوء و السعادة فى المجتمعات الانسانية بكاملها .

و لكن ذلك لا يتحقق إلا بمنهج الاسلام المتقن الدقيق الذى وضعه الله سبحانه لصالح الحياة و الكون و الانسان .

(كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

سعيد الأعظمى

حوار مع مهندس :

يبلغ الاسلام منذ ستين سنة

— ٢ —

الدكتور/ غريب جمعة (القاهرة)

هنا يأتى سؤال هو : من واقع ممارستكم للدعوة إلى الاسلام فى أوربا بماذا تنصح الداعية المسلم حينما يدعو إلى الاسلام خارج بلده أو فى مجتمع غير مسلم : أنصح أى داعية بالآتى :

أولا : أن يكون صورة عملية لتعاليم الاسلام الذى يدعو إليه و هذا أبلغ تأثيراً فى النفوس ، وصدق القائل : حال رجل فى ألف خير من مقال ألف لرجل .

و لنتأمل إجابة السيدة عائشة رضى الله عنها حينما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ . . فقالت كان خلقه القرآن .

ثانياً : أن يكون الاخلاص رائده و الصبر سلاحه و ألا يتعجل النتائج و سوف يرى باذن الله ثمرة إخلاصه و صبره .

ثالثاً : فهم عادات و تقاليد و طباع من سيدعوهم إلى الاسلام و معرفة الخطوط العامة لعقيدتهم أو مذهبهم ومجادلتهم بالتى هى أحسن والبعد تماماً عن مهاجمتهم .

رابعاً : أن يحاول أن يتعلم لغتهم فان ذلك سيجعله قريباً إلى قلوبهم وعقولهم .

هل كنتم تكتفون بارسال و توزيع هذه الرسائل فقط ؟

لا . . وإنما كنت أرد بخطابات شخصية على من يراسلونى للاستفسار عن الاسلام لمعرفة المزيد عنه ، و من أطرف الرسائل التى وصلتنى فى هذا الشأن رسالة من صبى ألمانى ، فقد بعث إلى يريد اعتناق الاسلام كما فعل والده و لكنى قلت له انتظر حتى تكبر سنك فأرسل إلى يقول : و هل قال محمد ﷺ لعلى بن أبى طالب

انتظر حتى تكبر سناك حينما أراد أن يدخل الاسلام ؟ و الحقيقة أن هذا الصبي أخمنى - بارك الله فيه وفى والده - وبعض الأشخاص ظل يراسلنى سبعة عشر عاماً وأخيراً قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله (ﷺ) وحينما يقنع شخص بالاسلام و يرغب فى اعتناقه فان لدى ثلاثة نماذج خاصة به ، أولها : يتضمن معلومات شخصية عنه من حيث : تاريخ الميلاد ، المهنة ، محل الميلاد ، الديانة السابقة ، الاسم قبل الاسلام . . إلخ .

و ثانيها : عبارة عن وثيقة إقراره باعتناق الاسلام ، و احتفظ بكل من هذين النموذجين مع صورة لصاحبهما فى ملف خاص به عندى .

و ثالثها : هو شهادة تعطى له بأنه أصبح مسلماً وذلك بعد إقراره ، و حتى لا تستغل هذه الشهادة وسط المسلمين أو الأقليات الاسلامية فى الخارج و حتى لا يسئ صاحبها إلى الاسلام ، فانى أضيف فى آخرها العبارة الآتية : أى خروج على تعاليم الاسلام يلغى هذه الشهادة .

ذكرتم أنكم تعرضون الاسلام على من يتصل بكم مقارنا بالديانات والمذاهب الأخرى فكيف ذلك ؟

إن الاسلام هو الذى يحقق التوافق بين التعريف بالله و العمل الانسانى منسجماً مع الفطر الانسانية بعنصريها من مادة و روح و ما تحمله من غرائز دون تصادم بحقائق الوجود ، أما اليهودية فديانة مقصورة على أصحابها و ما يعتقدونه من أنهم شعب الله المختار محض افتراء و غير مسموح للآخرين بالدخول فيها و بالتالى فهى غير صالحة لأن تكون ديناً إنسانياً عالمياً .

و إن عقيدة الفداء وحدها كافية لرفض النصرانية ، لأنها تتناقض والتعليمات المطلوبة وكذلك مع قاعدة المسئولية الشخصية عن العمل ، كما أنها تقضى على معنى الوجود الانسانى .

كما أن الأديان غير الكتابية لا تتضمن تعريفا واضحاً عن الله و الوجود و الانسان و القيامة ، و لا تحقق الانسجام المطلوب فى هذا الوجود .

كما أن المذاهب المادية وعلى رأسها الماركسية لا تتضمن مبرراً واحداً للتضحية الفردية أو الجماعيـــة و هى بذلك تتناقض مع معنى الصراع الذى اعتبرته حركة التاريخ و إن نتيجتها المنطقية هى أن يحقق الفرد جميع تصوراته الضالة فى تحقيق وجوده و حسب ، فهذه البديهيات التى يجب أن نصدرها فى مجال الدعوة والحوار الهادىء و الهادف و الحكيم من أجل الاسلام .

و مع ذلك فهناك مميزات خاصة بالاسلام كثيرة و معروفة و يمكن تقديمها أيضاً و هى بايجاز كما يلى :

١— القرآن الكريم هو وحده الذى عرف بالله سبحانه و تعالى تعريفاً كاملا وكيف لا و هو كلام الله تبارك وتعالى و يكفيك لمعرفـــة ذلك أن تنظر فى معانى آية الكرسى .

٢— ترتيباً على ما سبق فان الاسلام ربط المسلم فى كل لحظة من حياته و فى جميع أمكنة وجوده بالله تبـارك و تعالى فأصبح الله سبحانه و تعالى غاية المسلم « قل إن صلاتى و نسكى و محياى و مماتى لله رب العالمين » .

٣— أقام نظاماً كاملا للعبودية شمل جوارح الانسان و باطنه ، جسده و روحه بحيث جعل لكل عضو فيه عبودية و سلوكاً .

٤— وجه العقل للتفكر و التدبر فى ملكوت الله فأحيا كيان الانسان من جميع جوانبه « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

٥— أقام الحياة على الحق و هو ما يمكن أن نسميه فلسفة الاسلام فى الحيـاة والوجود « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق » .

٦— نظم الجماعة فى علاقاتها و معاملاتها بالحب و البر و العدالة و الحق .

٧— فى سبيل تنظيم الحقوق شملت رحمته الجنين و الوليد و الصبى و الشبـاب

و الشيخ ، الرجل و المرأة ، الفقير و الغنى ، الحاكم و المحكوم ، العامل و الزارع فكان بحق رحمة للعالمين .

٨– نظم العلاقات الآتية :

(ا) الأسرة و هو ما يسمى بالأحوال الشخصية .

(ب) المعاملات المالية بين الأفراد وهو ما يسمى بالقانون المدنى حسب تعبيرهم.

(ج) الحدود و القصاص و التعزير « القانون الجنائى » حسب تعبيرهم .

(د) نظم الحروب و العلاقات الدولية .

(ه) الحقوق العامة التى تتمثل فى قوانين العمل و التأمينات .

(و) الملكية بعد الموت « المواريث » .

(ز) الأسس العامة لمؤسسات الدولة و أنظمتها .

٨– أقام نظاما اقتصادياً متكاملا نظم فيه علاقات الفرد و الجماعات و الملكية العامة والخاصة فى وحدة منسجمة مع نظرته للوجود والأرض والحياة وغاية الانسان .

١٠– فصل الأخلاق و السلوك و الآداب .

١١– لم يغفل وضع قواعد العادات والحاجات البشرية من طعام وشراب ولباس .

١٢– ربط جميع أعمال الانسان بالجزاء بالخير و الشر فى الدنيا و الآخرة .

١٣– ابتغى السلام فى كل ما سبق : سلام الانسان مع نفسه وأسرته ومجتمعه و سلام العالم أجمع فأصبح الاسلام بحق هو السلام .

١٤– وجه الاسلام خطابه للناس كافة و ردهم إلى أصلهم الواحد وفاضل بينهم بالتقوى و العمل الصالح و ألغى كل عوامل الفرقة من جنس أو لون ، فأصبح دين الانسانية بحق .

الجامع لشعب الايمان

ورد إلى أسرة المجلة كتاب (الجامع لشعب الايمان) تأليف الامام الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى المتوفى ٤٥٨هـ ، وهذا الكتاب هو الجامع المصنف فى شعب الايمان الذى يتولى إخراجه إلى النور لأول مرة مزداناً بالتحقيق العلمى و ملبوساً بثوب جميل للطباعة الأنيقة الفاخرة ، مركز البحوث الاسلامية بالدار السلفية فى بمبائى (الهند) لصاحبها فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوى .

وقد قام الدكتور عبد العلى عبد الحميد حامد مدير مركز البحوث الاسلامية فى الدار بتحقيق النصوص و تخريج الأحاديث و الآثار ، و تدوين تراجم الرواة و بيان درجاتهم من الرد و القبول ، و بذل وراء مشروعه هذا العظيم مجهودات مضنية تنوء بها عصبة قوية ، وخاصة فى بلاد كالهند حيث لا تتوافر الوسائل والمصادر و الأجهزة و الكفاءات كما تزخر بها البلدان الاسلامية و الدول العربية العريقة ، و لكنه رغما من كل ذلك تغلب بتوفيق من الله على جميع المشكلات و ذلل العقبات التى كانت تعترض فى سبيل تحقيق و إخراج هذا الكتاب بأجمل و أكمل صورة .

هذا الجامع المصنف فى شعب الايمان للامام البيهقى موسوعة حديثية ذات أهمية كبيرة تتولى طبعها و إصدارها الدار السلفية فى بمبائى لأول مرة ، وقد عكف على إخراجها فى ثوب قشيب جميل جماعة من العلماء ذوى الكفاءة العلمية ، وقد تم صدور الجزأين من الكتاب – الأول والثانى – و ستتلوهما الأجزاء الباقية ، باذن الله تعالى .

و مع تمام الطباعة للاجزاء الباقية و صدورها إلى الأسواق تتجمل مكتباب العالم الاسلامية بهذه الموسوعة العظيمة ،التى تعتبر زيادة قيمة فى المكتبة الاسلامية على سعتها ، و تكون هدية فاخرة لأوساط العلم و الدين وللمشتغلين بموضوع السنة و القائمين بالتحقيق و التنقيب للمكتبة الحديثية فى العالم .

و إنجازاً لهذا المشروع الجليل و إضفاءاً عليه نقاء التحقيق و جمال البحث ، وضع المحقق فى أول الكتاب فصلين مهمين، أحدهما عن ترجمة المؤلف و حياته العلمية ، وهو يوشر إلى مكانته العلمية ، وسعة نظره ، وشخصيته العملاقة التى يضيق عن بيان مآثرها البيان، أما الفصل الثانى فهو يلقى ضوءاً لامعاً على قيمة الكتاب العلمية وندرة الموضوع الذى اختاره لتأليف هذا الكتاب، وبذلك تتبين جلالة هذا المشروع العلمى الذى تولته الدار السلفية وقام به المحقق الفاضل ، وهو على ذلك يستحق شكر الأوساط العلمية والجهات المعنية بالسنة ، وندعو الله سبحانه أن يتقبل منه عمله هذا خالصاً لوجهه الكريم ، و ينفع به العامة و الخاصة من المسلمين .

و قد سبق أن الدار السلفية قدمت إلى أوساط العلماء و المحققين الفضلاء، و المشغلين بالبحث و التأليف من أصحاب العلم و الثقافة الدينية هدايا قيمة من مطبوعاتها العلمية التى تتسم بطابع التحقيق والتدقيق ، والعمل الأكاديمى ، و تتميز بجمال الاخراج و حسن الطباعة على ورق صقيل ، مع ملاحظة الفنية المطبعية ، و مستوى الطباعة و النشر المطلوب .

و بذلك فنحن نهنئ المسئولين عن الدار السلفية على الاهتمام الكبير الذى يبذلونه فى إحياء التراث الاسلامى الأصيل وخدمة نشر الكنوز الاسلامية ،وندعو الله لهم بالتوفيق .

و صلى الله على خير خلقه محمد و على آله و صحبه و بارك وسلم .

(سعيد الأعظمى)